الفصل الأول

دراسة المستوى التركيبي في كتاب

"الإشارات الإلهية"

لأبي حيان التوحيدي

المبحث الأول

تمهيد لدراسة المستوى التركيبي

إن هدف كل دراسة لغوية هو فهم النص وجلاؤه وكشفه، ولذلك يتخذ الدرس أساليب مختلفة وطرقا متعددة كل منها يرمى إلى جلاء شريحة فيه"[١] ويختص هذا الفصل بدراسة المستوى التركيبى فى كتاب "الإشارات الإلهية" لأبى حيان التوحيدى حيث "إن كل دراسة لغوية يعنيها الإحساس بالصعوبات الكامنة وراء تمييز التراكيب بعضها من بعض وتعلقها بالمعانى"[٢].

والجملة هي الغاية الأولى لكل نظام نحوى، والنحو من اللغة كالقلب من الجسم "وإذا كان القلب يمد الجسم الإنسانى بالدم الذى يكفل له الحياة فإن النحو يمد الجملة بمعناها الأساسى الذى يكفل لها الصحة ، ويحدد لها عناصر هذا المعنى"[٣].

فالنحو يملك طاقة مبدعة فى إضاءة النص وتفسيره، وهو أداة مهمة من أدوات الفهم الأدبى.

يقول الدكتور مصطفى ناصف: "فالنحو ليس موضوعا يحفل به المشتغلون بالمثل اللغوية، والذين يرون إقامة الحدود بين الصواب والخطأ، أو يرون الصواب رأيا واحدا.النحو مشغلة الفنانين والشعراء ، والشعراء والفنانون هم الذين يبدعون النحو فالنحو إبداع"[٤].

ومن هنا كانت عنايتى بدراسة الجانب التركيبى فى كتاب "الإشارات الإلهية" الذي يمثل فترة مهمة من فترات نضج الثقافة العربية ومن ثم إدراك السمات اللغوية على المستوى التركيبى وذلك "لأن البنية النحوية تمتاز بقدر كبير من الحرية إذ تجيز كثيرا من أشكال العدول والتحول من أبنية نمطية إلى أبنية غير نمطية"[٥].

وإذا كانت الجملة هي وحدة الكلام وقوام التعبير وهيكله على اختلاف الأشكال والصيغ فقد عنى البحث بتحليلها ودراستها، فالجملة مجال بحث لا ينتهى فى

١- النحو والدلالة، د.محمد حماسة عبد اللطيف، ط١، القاهرة، دار الشروق، ٢٠٠٠م، ص٦١.

٢- المرجع السابق، ص ١٦٧.

٣- المرجع السابق، ص١٩- ٢٠.

٤- النحو والشعر: قراءة فى دلائل الأعجاز، د/ مصطفى ناصف، مجلة فصول، القاهرة، العدد الثالث إبريل، ١٩٨١.

٥- علم لغة النص، د.سعيد حسن بحيرى، ط١، القاهرة، لونجمان، ١٩٩٧، ص٧٤.

النحو العربى إذ هو مهيأ للإضافة والتجديد ومما يؤكد أهمية الجملة كثرة الدراسات حولها فى اللسانيات الذى يسعى علم التركيب فيها إلى توضيح القوانين المتحكمة فى الأبنية ووظائفها داخل نسيج الجملة"[١].

الجملة فى اللغة:

ورد فى لسان العرب "الجملة واحدة الجمل، وهى جماعة الشيء ومنه قولهم: أجمل الشيء أي جمعه عن تفرقة، وكذلك أجمل له الحساب فالجملة جماعة كل شيء من الحساب وغيره... وسمى الحبل الغليظ جملة لأنها قوى كثيرة جمعت فأجملت جملة"[٢].

إذن الجملة هي الجمع وهى التقوية بانضمام الأشياء بعضها إلى بعض.

الجملة فى الاصطلاح:

قال ابن حنى: "الكلام كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه وهو الذى يسميه النحويون الجمل"[٣] وابن جنى هنا يسوى بين الكلام والجملة، وقد أفرد ابن هشام فى كتابه المغنى بابا للجملة وفرق من خلاله بين الكلام والجملة، وبين أن الكلام أخص من الجملة وليس مرادفا لها.

قال ابن هشام: "الكلام: هو القول المفيد بالقصد"[٤] "والمراد بالمفيد ما دل على معنى يحسن السكوت عليه"[٥] وابن هشام يرفض رأى صاحب المفصل الذى ساوى بين الكلام والجملة، فقال: "والصواب أنها – أى الجملة – أعم منه، إذ شرطه الإفادة

١- بنية الجملة العربية بين التحليل والنظرية، د/المنصف عاشور، تونس، منشورات كلية الآداب، بمنوبة، ١٩٩١، ص٨.

٢- لسان العرب، مادة ج م ل.

٣- الخصائص، لابن جنى، تحقيق محمد على النجار، ط٤، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩، ج١، ص١٨.

٤- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصارى، تحقيق محى الدين عبد الحميد، صيدا بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٩٢، ج٢، ص٤٣١.

٥- المرجع السابق، ص٤٣١.

بخلافها ولهذا تسمعهم يقولون جملة الشرط، جملة الجواب، جملة الصلة وكل ذلك ليس مفيدا وليس بكلام"[١].

ويقسم ابن هشام الجملة إلى اسمية وفعلية وظرفية:

فالاسمية:"هي التي صدرها اسم كزيد قائم، وهيهات العقيق، وقائم

والفعلية: "هي التي صدرها فعل كقام زيد، وضُرب اللص"[٣].

والظرفية: هى المصدرة بظرف أو جار ومجرور، نحو: "أعندك زيد، أفى الدار زيد"[٤].

ويذكر ابن هشام أن المراد بصدر الجملة "المسند أو المسند إليه فلا عبرة بما تقدّم عليها من الحروف"[٥] وهو يقصد حروف الاستفهام، والحروف الناسخة وغيرها كما ينص على أن المعتبر عنده "ما هو صدر فى الأصل" فلا عبرة بالتقديم والتأخير.

وقد عنى الدرس اللغوى الحديث بتعريف الجملة يقول الدكتور إبراهيم أنيس: "إن الجملة فى أقصر صورها، هي أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلا بنفسه، سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر"[٦] فالدكتور إبراهيم أنيس يضع الإفادة عنصرا أساسيا فى تحديد مفهوم الجملة.

وتعرف الدكتورة فاطمة الجامعى الحبابى الجملة فتقول: "إن الجملة بناء لغوى يعبر عن معنى كامل، ومستقل، ولا يعتبر جزءا داخلا فى تركيب لغوى أكبر، وقد تأتى الجملة كلمة، أو عبارة أو تركيبا أو تراكيب"[٧] وإذا عمدنا إلى تحليل هذه التصورات عن "الجملة" فإن ابن جنى يقرر أن الجملة كلام مفيد قائم برأسه مستقل

١- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ، ص٤٣١.

٢- المرجع السابق، ص٤٣٣.

٣- المرجع السابق، ص٤٣٣.

٤- المرجع السابق، ص٤٣٣.

٥- المرجع السابق، ص ٤٣٤.

٦- أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، ط ٧، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٥، ص ٢٧٦، ٣٧٦.

٧- لغة أبي العلاء المعري فى رسالة الغفران، فاطمة الجامعي الحبابي، القاهرة، دار المعارف، بدون عام نشر، ص١٢٣.

بمعناه، وفى قوله "كلام" ما يدل على أن الجملة أكثر من كلمة فهو يشير إلى ركن مهم من أركان الجملة وهو ركن الإسناد، وفى قول ابن جنى "مفيد" ما يدل ويشير إلى ركن آخر وهو ركن الإفهام، وفى قول ابن جنى "قائم برأسه" ما يدل على شرط ثالث أو ركن ثالث فى الجملة وهو شرط الاستقلال، وتبع ابن جني فى هذا ابن هشام لكن ابن هشام أبدى رأيه فى التفريق بين الكلام والجملة، فالجملة عنده أعم من الكلام ويقسم الجملة إلى اسمية وفعلية وظرفية، باعتبار صدر الجملة الأساسي، ولا اعتبار عنده لدخول النواسخ أسماءً كانت أم أفعالا، ولا اعتبار عنده أيضا لدخول حروف الاستفهام أو غيرها على صدر الجملة الأساسي. إنما الاعتبار عنده بالمسند إليه "المبتدأ" فى الجملة الاسمية والمسند أي الفعل فى الجملة الفعلية.

وأعتقد أن القسم الثالث الذي بينه ابن هشام من أقسام الجملة وهو "الجملة الظرفية" يمكن اختصاره إلى أحد نوعي الجملة سواء أكانت الاسمية أم الفعلية بتقدير مبتدأ أو فعل.

وقد اعتمد ابن هشام كابن جني من قبل فى تعريفه للجملة على أركان ثلاثة ، وهي الإسناد والإفهام والاستقلال. أما التصور الحديث للجملة فإن الدكتور إبراهيم أنيس يهتم كثيرا بعنصر الإفادة فى الجملة ، وكذلك عنصر الاستقلال، وعنده أن الجملة يمكن أن تتكون من كلمة واحدة أو أكثر. أما محاولة الدكتورة فاطمة الجامعي الحبابي فهي محاولة توفيقية بين التعريفات القديمة والحديثة ، وأظنها أرادت بذلك تضع تعريفا جامعا وشاملا للجملة.

فامتدت بتعريفها للجملة لتشمل عدة تراكيب تؤدي كلها معنى كاملا ومستقلا، وهي تعني بلفظ "تراكيب" جملة مستقلة أحد أركانها تركيب غير مستقل أو أكثر فهي تقول: "التركيب غير المستقل يمكن استبداله بوحدة أصغر كلمة أو عبارة"[1] مثل النعت الجملة والحال الجملة.

والتعريف السابق يتسم بقدر كبير من الشمولية والاستفادة مما سبقه من تعريفات الجملة.

١- لغة أبي العلاء المعري فى رسالة الغفران ،ص ١٢٧ .

وصاحبة هذا التعريف تستند إلى عناصر وأركان منها: الإسناد، والاستقلال، والإفادة باعتبارها مكونات أساسية لبناء الجملة.

وأنا أرجح أن الجملة: هي ذلك البناء اللغوي الذي يقوم على ثلاثة أركان، الركن الأول هو الإسناد، والركن الثاني هو الإفهام كأن يقصد المتكلم هذا المعنى الذي تؤديه الجملة، والركن الثالث هو الاستقلال عن الجمل الأخرى.

المبحث الثاني
الجملة الاسمية والجملة الفعلية

يعد الإحصاء أحد الأسس المهمة فى المنهج الوصفي، فهو يجعل للأحكام التي يصل إليها الباحث مرجعية ثابتة وأرضا صلبة تقوم عليها، ولابد أن تتبع مرحلة الإحصاء مرحلة أخرى هي التحليل فالإحصاء فى حد ذاته وسيلة لغاية أكبر هي التحليل، لذلك اعتبرت المنهج الوصفي الذي يقوم على ركني الإحصاء والتحليل منهجا للدراسة.

بادئ ذي بدء نذكر أن تقسيم الجمل إلى جمل اسمية وجمل فعلية هو واحد من تقسيمات كثيرة للجملة[١].

فالجملة الاسمية عبارة عن "عملية إسناد مبدوءة بالمبتدأ المعقود بالخبر حسب قوانين النحو ومعانيه"[٢] يقول ابن هشام فى تعريف الجملة الاسمية: "هي التي صدرها اسم"[٣] ويقصد بصدر الجملة ما هو صدر الجملة فى الأصل فلا اعتبار عنده لكان وأخواتها، أو إن وأخواتها، أو أفعال الشروع أو غيرها من الأدوات.

وإذا كانت تلك الأدوات متعينة للدلالة على الزمن وعلى كثير من الدقائق المعنوية فهي عند النحاة عارية من معاني الحدث، ولعل تلك الأدوات ضرب من التحويلات التي تغير الشكل الإعرابي فى المركبات الإفرادية، أو في رأس المركبات الاسمية"[٤] ولا شك أن كل زيادة لفظية تستتبعها زيادة معنوية لكن لا يؤثر أو يحول الجملة من اسمية إلى فعلية أو العكس، وهذا ما اتفق عليه النحاة مع ابن هشام.

والجملة الفعلية هي "التي صدرها فعل" والمقصود بصدر الجملة الفعلية هو ما

١- لقيت الجملة العربية كثيرا من اهتمام الدارسين فى العصر الحديث ومن أهم الدراسات التي تناولت الجملة العربية بالبحث والدراسة:

١- الجملة العربية دراسة نحوية لغوية، د / محمد إبراهيم عباده،كلية الآداب-جامعة بنها.

٢- مدخل إلى دراسة الجملة العربية، د/ محمود أحمد نخلة. بيروت دار النهضة ١٩٨٨م.

٣- نظام الارتباط والربط فى تركيب الجملة العربية، د/ مصطفى حميدة.

٤- الجملة في الشعر العربي، د.محمد حماسة عبد اللطيف، القاهرة: الخانجي ،١٩٩٠م

٢- بنية الجملة العربية بين التحليل والنظرية، د/ المنصف عاشور، تونس، منشورات كلية الآداب بمنوبة، ١٩٩١، ص ١٦٩.

٣- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، ص ٤٣٣.

٤- بنية الجملة العربية، ص ٧٧.

كان صدرا فى الأصل أيضا. فجملة "كيف جاء زيد" وجملة النداء كما قرر ابن هشام جمل فعلية.

وقد اشترط النحاة فى الفعل أن يكون تاما فلا اعتبار عندهم للفعل الناقص، وقد يحذف هذا الفعل "بعد أدوات تدخل على الجملة الفعلية من نحو: "إن" الشرطية، و"إذا"، و"لو" وأحرف التحضيض والتوبيخ هلا، وألا، ولولا، ولوما، وعلى ذلك فهم يعربون الاسم المرفوع الواقع بعد هذه الأدوات فاعلا لفعل محذوف"[١].

بعد هذا البيان لمفهوم الجملة الاسمية والفعلية أجريت عملية الإحصاء على خمس رسائل من كتاب "الإشارات الإلهية" تم اختيارها عبر رسائل الكتاب الأربعة والخمسين، والتي أظن أنها تعبر بصدق عن بنية اللغة عند أبي حيان التوحيدي وهي الرسائل { ١، ٧، ١٥، ٢٠، ٥٣ }.

ومن خلال عملية الإحصاء قمت بحصر الجمل الاسمية والجمل الفعلية، ونسبة كل منهما إلى عدد الجمل وأنواع الأفعال فى الجملة الفعلية.

فاتضح لنا الآتي:

رقم الرسالة	عدد الجمل الاسمية	عدد الجمل الفعلية	عدد الجمل كلها	نسبة الجمل الاسمية	نسبة الجمل الفعلية
(١)	١٤٠	٢٩٧	٤٣٧	%٣٢	%٦٨
(٧)	٦٠	٧٦	١٣٦	%٤٤	%٥٦
(١٥)	١٥٨	٢٦٠	٤١٨	%٣٨	%٦٢
(٢٠)	١٣	٣٣	٤٦	%٢٨	%٧٢
(٥٣)	١٧٩	١٧٧	٣٥٦	%٥٠	%٥٠
الرسائل كلها	٥٥٠	٨٤٣	١٣٩٣	%٤٠	%٦٠

باستقراء الإحصاء السابق نجد أن نسبة ورود الجملة الاسمية فى عينة الإحصاء أقل من الجملة الفعلية ، فهي لم تتعد فى أفضل حالاتها نسبة ٥٠% وذلك فى الرسالة الثالثة

١- تحليل سيبويه للجملة الفعلية فى ضوء علم اللغة الحديث، رسالة دكتوراه، محمد ناصر حميد، جامعة الإسكندرية، كلية الآداب، ص ١٠٢.

والخمسين فى حين أنها انخفضت فى الرسالة العشرين إلى نسبة ٢٨% أما الجملة الفعلية فقد كانت لها اليد العليا فى أغلب الرسائل أجري عليها الإحصاء حتى وصلت في إحدى الرسائل إلى نسبة ٧٢% وكان إجمالي الإحصاء ٤٠% جملا اسمية و٦٠% جملا فعلية.

وقد تنوعت الجمل الاسمية في عينة الإحصاء من كتاب "الإشارات الإلهية" إلى مثبتة ومؤكدة ومنفية.

١- من أمثلة الجمل الاسمية المثبتة قول أبي حيان: "**الشَكْوى مُعادةٌ، والكُرَبُ مُعتادةٌ والأحوالُ مُرادةٌ، والأوقاتُ مبادةٌ**"[١].

٢- ومن أمثلة الجمل الاسمية المنفية: قوله: "**لا حَرفَ، ولا كلمةَ، ولا سِمةَ، ولا علامةَ، ولا اسمَ، ولا رسمَ ولا ألفَ، ولا ياءَ إلا وفي مضمونه آيةٌ**"[٢].

٣- من أمثلة الجمل الاسمية المؤكدة قوله: "**فإن ذلك عُنوانُ الفوتِ، وآيةُ الحسرةِ، وعلامةُ الأسفِ**"[٣].

أما الجمل الفعلية التي كان لها الغلبة فى عينة البحث فقد تنوعت أفعالها بين الماضي، والمضارع والأمر، كالتالي:

رقم الرسالة	الفعل الماضي	الفعل المضارع	فعل الأمر	عدد الأفعال	نسبة الفعل الماضي	نسبة الفعل المضارع	نسبة فعل الأمر
(١)	١٠٤	١٢٣	٧٠	٢٩٧	%٣٥	%٤١	%٢٤
(٧)	٢٥	١٤	٣٧	٧٦	%٣٣	%١٨	%٤٩
(١٥)	١٢٧	٩١	٤٢	٢٦٠	%٤٩	%٣٥	%١٦
(٢٠)	١٩	١٤	---	٣٣	%٥٧.٦	%٤٨.٢	صفر%
(٥٣)	٨٤	٦٨	٢٥	١٧٧	%٤٨	%٣٨	%١٤
الرسائل كلها	٣٥٩	٣١٠	١٧٤	٨٤٣	%٤٢.٨	%٣٦.٨	%٢٠.٦

١- الإشارات الإلهية، تحقيق د / وداد القاضي، ص ٧.

٢- المصدر السابق، ص ٥.

٣- المصدر السابق، ص ٤٩.

باستقراء الإحصاء السابق للجملة الفعلية في عينة البحث نجد أن الجملة الفعلية التي بلغت نسبة وجودها فى عينة الإحصاء ٦٠% تنوعت أفعالها بين الماضي والمضارع والأمر، وأكثرها ورودا الفعل الماضي الذي بلغت نسبة وروده ٤٢.٨%، وكان للفعل الماضي الأكثرية فى أربع رسائل من خمس رسائل هي عينة الإحصاء، ولم يتفوق عليه إلا الفعل المضارع فى الرسالة رقـــم (١) أما فعل الأمر فهو أقل الأفعال ورودا في عينة الإحصاء، ويأتي في الرسائل كلها فى الترتيب الثالث بعد الفعل الماضي والفعل المضارع إلا أنه تفوق عليهما في الرسالة رقم (١) أما الفعل المضارع فهو فى ترتيب متوسط بين الماضي والأمر.

١- من أمثلة الفعل الماضي، قول أبي حيان: "**إذا بسطَ الزمانُ كفَّهُ، وأَعرَضَ طرْفَه، وأتينَا على هذا كله ببيان أشَفَّ من هذا، وأشفى وضممنا إلى جميعه ما يكون داخلا فى شكله وناهضا بحمله إن شاء الله**"[١].

٢- ومن أمثلة الفعل المضارع ، قوله: "**حتى صرت أقدح بزند مُصْلَد ، وأنفخ فى غير فحم، ، وأنادى من ليس بحاضر، ،و أنصح من ليس بقابل، وأحيى من ليس بعاقل، وأهيم في وادى الظن ....**"[٢].

٣- من أمثلة فعل الأمر، قوله: "**فَجُل في أطرافها طالبا نفسك فيها، وغُصْ في أعماقها محصلا لحقيقتك منها، واجعل بوادى تباشير هذه الأحوال مادة لصبرك إن كنت مُبْتَلى أو عدة لشكرك إن كنت مُجْتَلى وتَرنَّمْ في هذا الفضاء الذى قد أنْخرَقَ لك من هذه الوُرَيْقَات التي هي ألفُ ورقة مُتَنَزهًا واقْطُفْ من ثمارها ما تَدَلى لك ودنا منك وترشَّف من عينها ما ساغ لك**"[٣].

نتائج الإحصاء:

لقد تغلبت الجملة الفعلية على الجملة الاسمية عند أبى حيان التوحيدي ولا بد أن يكون لهذه الغلبة أسباب وأغراض.

١- الإشارات الإلهية، تحقيق د / وداد القاضي، ص١٠٨.

٢- المصدر السابق، ص١٣٩.

٣- المصدر السابق، ص٤٩.

"ومن المعروف أن العربى يبدأ كلامه بما يهتم به أى أن الجملة تقدم ما ارتأى المتكلم أن للسامع حاجة في تقديمه"[١] هذه هي طبيعة العربي، وفطرة العربي تدعوه إلى الاهتمام بالحدث أكثر من صاحبه فالأساس عنده في الإخبار أن يأتى بالفعل، فالفعل يستحوذ على اهتمام المتكلم والسامع أكثر ممن وقع منه الحدث ولهذا غلبت الجملة الفعلية على الكلام العربي.

ولعل هذا راجع إلى طبيعة العربي من الحركة والتنقل وعدم الاستقرار فى البداية، ثم صار هذا النسق التعبيرى إرثا للأبناء.

وأبو حيان التوحيدي في كتاب "الإشارات الإلهية" عندما تظهر منه هذه البنية اللغوية فلا شك أنه تأثر بالنسق التعبيري العام للغة، ولكني أرجح أن يكون الاضطراب الذي ملأ نفس أبى حيان التوحيدي والتأجج الذى اشتعل داخله كانا داعيين له لاستخدامه أو لطغيان هذا النسق التعبيري على كتابته، فقد عرفنا من حياته أنه كان ذا طبيعة متنقلة غير مستقرة، وكان ذا نفس حائرة مضطربة وروح وثابة خاصة إذا عرفنا أن الفعل يدل على التجدد والحدوث، والاسم يدل على الثبوت والاستمرار.

"فالمتكلم إذا أراد أن يثبت تجدد الشيء جاء المسند فعلا، وإن أراد أن يبرز ثبوته ودوامه جاء به اسما"[٢] والسبب في ذلك هو تقيد الفعل بزمن معين يضفى عليه لونا من التجدد فهو مركب من حدث وزمن أما الاسم فليس كذلك فهو مجرد من الزمن"[٣].

واعتقد أن طبيعة كتاب "الإشارات الإلهية" الذي اهتم فيه أبو حيان التوحيدى بلغة الخطاب والحوار، والتوجيه والإرشاد، والدعاء والنداء، واللوم والتوبيخ كل هذه الأشياء دعته لاستخدام الجملة الفعلية، وأدت لغلبتها على عباراته فى كتابه "الإشارات الإلهية" لكي تفي بأغراضه المتنوعة.

١- لغة أبى العلاء المعرى فى رسالة الغفران، ص١٧٨.

٢- الجملة العربية بناؤها وإيحاؤها ، د/ إبراهيم صلاح الهدهد:، ط١، القاهرة، الاتحاد التعاونى للطباعة والنشر، ١٩٩٦، ص ١٨٦.

٣- المرجع السابق، ص.١٨٦

من الجدير أن نذكر أن دلالة الجملة الاسمية على الثبوت والدوام، والفعلية على التجدد والحدوث ليست مطردة فقد "استثنوا دلالة الاسم على الثبوت والاستمرار إذا قيد بأحد الأزمنة"[١] كقولنا: "مذاكر محمد الآن" تقيد بزمن الحال، "مذاكر محمد غدا" تقيد بزمن المستقبل، مذاكر محمد أمس" تقيد بزمن الماضي.

"واستثنوا من دلالة الفعل على التجدد والحدوث بعض المواطن بالقرائن"[٢] من ذلك الجملة الفعلية ذات الفعل المضارع إذا وقعت خبرا مثل: "أحمد يقوم".

إذن الجملة الفعلية وافقت نفس أبي حيان التوحيدي وطبيعته وأحواله التي مرَّ بها عبر كتابه كما توافقت مع أغراضه في كتاب "الإشارات الإلهية" وذلك لدلالة الفعل على التجدد والاستمرار، ومن ثم ظهرت الجملة الفعلية بشكل بارز في كتابته.

وكذلك اختلف نوع الفعل في الجملة الفعلية فما دلالة كل نوع من هذه الأفعال؟ وما موقع كل منها من حيث التجدد والاستمرار أو من حيث الثبوت والدوام.

لا شك أن تجدد الماضي وحدوثه يختلف عن تجدد المضارع وحدوثه " فالتجدد في الماضي هو وجوده بعد أن لم يكن موجودا، وذلك لدلالة الفعل الماضي على الحدث في الزمن الغائب الذي لا يتفق مع التجدد وقتا بعد وقت كما في المضارع أما التجدد في المضارع فمعناه أن الفعل من شأنه أن يتكرر ويقع مرة بعد أخرى"[٣].

إن تقسيم الأفعال إلى ماضي ومضارع وأمر تقسيم يقوم على مجموعة من الأسس المتنافرة"[٤] ويفرق الدكتور تمام حسان بين نوعين من الزمن الأول هو الزمن

١- دلالة الجملة الاسمية والفعلية بين الإقرار والإنكار، أبو زيد محمد أحمد شومان، أسيوط، مطبعة الصفا والمروة، ٢٠٠١ م، ص ٤٤.

٢- المرجع السابق، ص ٥٩.

٣- المرجع السابق ، ص ٢٤.

٤- تراكيب الجملة الفعلية، د/ حسن مغازي، القاهرة، دار سلس للطباعة والنشر، بدون عام للطبع، ص ١٥.
يرى الدكتور حسن مغازي أن النحاة اعتمدوا في الفعل الماضي على مقولة الزمن أكثر من اعتمادهم على الصيغة أو العلامات الأخرى فى حين اعتمدوا فى الفعل المضارع على مقولة المشابهة بينه وبين اسم الفاعل أكثر من اعتماده على الزمن أو على أساس آخر ومن ناحية ثالثة اعتمدوا فى فعل الأمر على نوع الأسلوب الذي استعمل فى ذلك النوع من الأفعال.

الصرفي، والثاني هو الزمن النحوي يقول: "الزمن يأتي على المستوي الصرفي من شكل الصيغة وعلى المستوي النحوي من مجرى السياق، ومعنى إتيان الزمن على المستوى الصرفي من شكل الصيغة أن الزمن هنا وظيفة الصيغة المفردة، ومعنى أن الزمن يأتي على المستوى النحوي من مجرد السياق أن الزمن في النحو وظيفة السياق، وليس وظيفة صيغة الفعل لأن الفعل الذي على صيغة فعل قد يدل في السياق على المستقبل والذي على صيغة المضارع قد يدل على الماضي"[١]. ويوضح الدكتور تمام أن تقسيم الفعل إلى ماضٍ ومضارع وأمر تقسيم يقوم على المبنى الصرفي فيقول: "الفعل من حيث المبنى الصرفي ماضٍ ومضارع وأمر"[٢].

أما دلالة الفعل على الزمن فتتوقف على موقعه وعلى قرينة في السياق"[٣].

وعندما قمت بإجراء الإحصاء للأفعال اعتمدت على المبنى الصرفي للفعل فالصيغة هي الأساس في تحديد نوع الفعل، ولكن قد يتحول الفعل عن زمنه في الاستخدام فيأخذ زمنا جديدا وهو الذي أطلق عليه الزمن النحوي فتعبر بالماضي عن الحاضر أو المستقبل كقوله تعالى: "أتى أمر الله فلا تستعجلوه"[٤].

وذلك لغرض يعمده البليغ وهو هنا "إدخال الروع والخوف في قلوب العصاة، ولا يكون هذا أصلا في الصيغة فلا تدل صيغة (فَعَلَ) على المستقبل أو الحال إلا مع قرينة.

إن ورود صيغة الفعل الماضي في النص بنسبة كبيرة فاقت نسبة ورود الفعل المضارع وفعل الأمر، يرجع في اعتقادي لكون أبي حيان التوحيدي يريد أن يقنع الجميع أنه مَرَّ بمرحلة التوبة، ومرحلة الخلوص إلى الله، وتخلص من ذنوب الماضي وبدأ مرحلة جديدة مع الخالق بنفس نقية صافية خالصة لله سبحانه وتعالى.

١- اللغة العربية معناها ومبناها، د/ تمام حسان، ط ٣، عالم الكتاب، ١٩٩٨، ص ١٠٤.

٢- المرجع السابق، ص ١٠٤.

٣- المرجع السابق، ص ١٠٥.

٤- سورة النحل ، الآية ١.

وأول مراحل توبته هي الندم، والتخلص من الذنوب، وعدم العودة إليها ولا شك أن الفعل الماضي فيه درجة من الثبات الذي يقتضيه الوقوف أمام الله سبحانه وتعالى، والاعتراف بالذنوب والآثام.

ويلى الفعل الماضي في نسبة الورود في النص الفعل المضارع، وبنسبة قريبة وأعتقد أن ذلك يرجع إلى:

أولا: اضطرام المشاعر في نفس أبي حيان التوحيدي.

ثانيا: نبرة الخطاب التي تسيطر على الرسائل التي يتوجه فيها إلى مريديه وأتباعه، وكثرة النداءات في الرسائل حتى إنه استخدم أسلوب النداء (٢٩) مرة في الرسالة (٤٧).

ثالثا: رغبته في استحضار الصورة ورغبته في مشاركة أتباعه، ومريديه، ومستمعيه في الأحداث والأفعال.

وقد جاء فعل الأمر في النص بأقل نسبة ورود وخرج أغلبها لغرض بلاغي هو الدعاء حيث يتوجه التوحيدي إلى الله سبحانه وتعالى من ذلك قوله " **عُد علينا بصفحِكَ عن زلاتنا، وأنعشنا عند تَتَابع صِرَاعاتنا وحُطَّ رِحَالنا معك في اختلاف سكراتنا وصحواتنا، وكُنْ لنا وإنْ لَمْ نَكُنْ لأنفُسِنا**"[1].

لقد وقف أبو حيان التوحيدي موقف التائب الذي يشارك من حوله في أفعالهم، وينخرط معهم في التوبة فليس غرضه الأول هو توجيه الأوامر والنواهي لأتباعه ؛ فهو ما زال يشعر بالتقصير، ويرغب في التوبة، ويقف أمام المولى سبحانه وتعالى معترفا بذنوبه وعندما يستعمل فعل الأمر يخرج لغرض بلاغي عظيم هو الدعاء، وطلب الغفران، والعون من الله سبحانه وتعالى.

١- الإشارات الإلهية، تحقيق د/ وداد القاضي، ص١.

المبحث الثالث

دراسة جمل النداء

يختص هذا المبحث بدراسة جمل النداء في كتاب "الإشارات الإلهية" من الناحية التركيبية والناحية الدلالية، وبيان الخصائص التي تميز بها هذا النمط التركيبي التعبيري.

"إن التراكيب اللغوية تكون بالغة التعقيد والخصوبة حين تفيض بها النفوس الحية، وذلك لأن كل ما في النفس من قلق ونبض، وكل ما تحسه الروح ويفور به القلب لا يجد له مسربا إلا هذه الكلمات وهذه التراكيب، وكل ما في هذه الأحوال النفسية من جفاء والتباس منعكس لا محالة في تلك التراكيب"[١].

وأعتقد أن شخصية أبي حيان التوحيدي واحدة من الشخصيات القلقة الحائرة المضطربة في كثير من أحوالها، وهي في رأيي شخصية تستمتع بالألم بل وأشعر أنها تسعى إليه. وكأن أبا حيان التوحيدي مقتنع بأن الألم يجلو النفس الإنسانية كما تجلو النار الذهب.

كل هذا جعل تراكيب أبي حيان التوحيدي بصفة عامة تتميز بالثراء والتنوع والخصوبة.

إن في كل نفس قبسا من الضوء ينزع بها منازع تختلف لا محالة عن القبس الذي في الأخرى، والذي يهديها هداية مغايرة في الاختيار والتراكيب، والصياغة والتصوير"[٢].

إننا أمام نفس تعرف كيف تفرغ أسرار قلبها في بيان رائع، فيكون لزاما علينا استخراج أسرار ذلك البيان الواسع المتشعب مع الأخذ في الاعتبار سياق الحديث.

" فالتركيب النفيس أشبه بقطعة من معدن نفيس تعطي ألوانا متكاثرة كلما أدرتها إدارة جيدة، والسياق هو القوة التي تحرك هذه القطعة لتشيع من ألوانه ما يراد إشاعته"[٣].

والنداء أحد هذه التراكيب التي نتناولها بالدراسة.

١- دلالات التراكيب دراسة بلاغية، د/ محمد محمد أبو موسى، ط ٣، القاهرة، مكتبة وهبة، عام ٢٠٠٤، ص٣٥٠.

٢- المرجع السابق، ص ٢٢.

٣- المرجع السابق، ص ٢٤٠.

النداء: "وهو طلب المنادى بأحد حروف النداء الثمانية، والنحويون يرون في حرف النداء والمنادى بعده جملة مقدرة بالفعلية"[١].

والنداء تركيب إنشائي يفيد الاختصاص بالمخاطب، وإذا كان النداء هو طلب الإقبال فليس المعنى العقلي وحده لطلب الإقبال هو ما يجري فيه النداء، وأقصد بالمعنى العقلي "طلب إقبال الحي العاقل الذي لا يجاوز امتداد صوت المنادى"[٢].

وخلف النداء في كتاب "الإشارات الإلهية" أسرار ودلالات أحاول اكتشافها وبيانها.

تتركب جملة النداء من حرف نداء قد يكون ظاهرا أو مقدرا ومنادى قد يكون علما أو غيره معرفة أو نكرة، وقد يكون المنادى مضافا أو شبيها بالمضاف.

ولكي تقف أحكامنا على جملة النداء في كتاب "الإشارات الإلهية" على دعائم قوية قمت بإحصاء لجمل النداء في عشر رسائل من رسائل "الإشارات الإلهية".

هي: (١)، (١٥)، (٢٣)، (٢٦)، (٣١)، (٣٥)، (٤١)، (٤٥)، (٤٧)، (٥٣).

١- الأساليب الإنشائية فى النحو العربي، عبد السلام هارون، ط ٢، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٧٩، ص١٣٦.

٢- دلالات التراكيب، ص ٢٦١.

أولا: بيان لاستخدام أدوات النداء في "الإشارات الإلهية":

رقم الرسالة	عدد جمل النداء	النداء بيا	النداء بأيها	النداء بأيتها	النداء باللهم	النداء بإلهنا	حذف الأداة	النداء بإلهي
(١)	٢٨	٢٤	--	--	٣	١	--	--
(١٥)	١٣	٦	--	--	٢	٤	١	--
(٢٣)	٨	١	٢	--	٢	١	٢	--
(٢٦)	٢٦	١٢	٨	--	٤	١٠	--	--
(٣١)	١٣	٣	٣	---	٥	١	--	١
(٣٥)	٢٠	١٤	--	--	٥	١	--	--
(٤١)	١٤	٨	٤	--	٢	--	--	--
(٤٥)	٤١	١٧	١٩	--	٣	٢	--	--
(٤٧)	٣٦	١٠	٦	١٠	٢	١	٧	--
(٥٣)	٧	٢	٢	--	١	٢	--	--
مجموع	٢٠٦	٩٧	٤٤	١٠	٢٩	١٥	١٠	١
نسبة مئوية	%١٠٠	%٤٧	%٢١	%٥	%١٤	%٧.٣	%٥	%٠.٥

باستقراء الإحصاء السابق نجد أن عدد جمل النداء في الرسائل العشرة هو مئتان وست، استخدام أبو حيان التوحيدي أداة "يا" في سبع وتسعين مرة بنسبة مئوية ٤٧% مما يدل على اعتماد أبي حيان التوحيدي الكبير على هذه الأداة، وهو في ذلك يسير وفق سنن العربية حيث ذكر النحاة أن "يا" أم الباب، ويقول ابن هشام: "يا حرف نداء موضوع لنداء البعيد حقيقة أو حكما، وقد ينادى بها القريب توكيدا، وقيل هي مشتركة بين القريب والبعيد، وقيل بينها وبين المتوسط وهي أكثر حروف النداء استعمالا"[١].

١- مغني اللبيب، ج ٢، ص ٤٢٩.

فقد نودي الحي غير العاقل ونوديت أحوال النفس ونودي فى القرآن الشجر والجبال والطير وغيرها.

ويقول ابن هشام أيضا "ولا ينادى اسم الله عز وجل، ولا اسم المستغاث وأيها وأيتها إلا بها"[١].

و أبو حيان التوحيدي حينما يستخدم أسلوب النداء يتوجه بذلك لاثنين في الغالب الأول: هو الإنسان الذي يوجه له حديثه، ويبثه مواعظه وتجاربه، ويبين له غفلته، وهذا هو الجانب الأكبر الذي يستخدم فيه أبو حيان التوحيدي النداء بصفة عامة وأداة النداء "يا" بصفة خاصة.

يقول أبو حيان التوحيدي: "**يا عدوَّ نفسِه، وجالبَ حتْفِه بيده، ويا شاربَ سُمِه بأنفِه، ويا خَانقَ حَلقهِ بحبلهِ، ويا مُخَرِّب بيته بساعده، ويا سيءَ النظرِ لنفسهِ، ويا جاهلا بحظه، ويا مُتَعقِبا لحسرته، ويا مُجْهزا على روحه بخنجرِه**"[٢].

وقد لاحظت أن أبا حيان التوحيدي كثيرا ما يستخدم أداة النداء "يا" ويتبعها باسم الإشارة "هذا" حيث استخدم أبو حيان التوحيدي "يا هذا" في الرسالة السادسة والعشرين "عشر" مرات، وفى الرسالة الخامسة والثلاثين "اثنتا عشرة" مرة، وفى الرسالة الأولى "ثماني" مرات، وفى الرسالة السابعة والأربعين "ست" مرات.

ومن خلال هذا يتضح لنا توجه أبي حيان التوحيدي للإنسان الغافل رغبة في إيقاظه من غفلته فالنداء يهيئ النفس ويوقظها.

وفى رأيي أنه يستخدم الأداة "يا" كثيرا لتنبيه المنادى وللتأكيد، فهي كما ذكر ابن هشام ينادي بها القريب توكيدا، والبعيد حكما، وأعتقد أن أبا حيان التوحيدي ينادي قريبا منه، وهذا مدار أغلب ندائه بـــ"يا" أما الجانب الآخر من النداء بـــ "يا" فهو نداء المولى سبحانه وتعالى وذلك لقربه الشديد منا، وإدراك أبي حيان التوحيدي لهذا دعاه لاستخدام "يا" في هذا المجال.كما ذكر بن هشام فاسم الله عز وجل لا ينادى إلا بها من أدوات النداء الثمانية، وإن كان يمكن الاستغناء عن الأداة أو التعويض.

١- مغنى اللبيب ، ص ٤٣٠.

٢- الإشارات الإلهية، تحقيق د/ وداد القاضي، ص ٣١٨.

يلى "يا" في الاستخدام "أيها" وقد وردت في أربع وأربعين جملة بنسبة مئوية ٢١%، وهي عبارة عن "أي" حرف نداء للبعيد أو للقريب أو المتوسط على خلاف في ذلك"[١] والـــ "هاء" للتنبيه.

واستخدام "أيها" أداة من أدوات النداء إنما يكون حينما يتطلب السياق جملا من التوكيد حيث يضاف لأداة النداء "أي" عنصر لغوي له طبيعة اللفت والإيقاظ فأداة النداء "أيها" أقوى من "يا" في المعنى.

ويستخدم أبو حيان التوحيدي هذه الأداة حينما يتوجه إلى الإنسان طالبا منه أكبر درجة من الانتباه واليقظة لتلقى الحديث.

ومما يؤكد استخدام "أيها" للإثارة والتنبيه أنه غالبا ما يتبعها بنعت فيه تقريع وتوبيخ، وبيان التقصير يقول في الرسالة (٤٧): "**أيها المُدلّه**"، "**أيها المُتسكِّع**" ، "**أيها النَّائي**" ، "**أيها الحاضر بجثته الغائب بهمته**".

وفى الرسالة الخامسة والأربعين: "**أيها المغتر**" ، "**أيها البائس**"، "**أيها الجاهل**" ، **أيها الخائض**" ، "**أيها المطرود**"، **أو يتبعها بنعت فيه ترغيب يقول في الرسالة الخامسة والأربعين: "أيها العامل اعمل"، "أيها المخلص اثبت"، "أيها الثابت استمسك"، "أيها المستمسك خف المكر"، "أيها الخائف أرجُ"، "أيها الراجي إزَّودّ"، "أيها الواعظ اتعظ"**.

ثم يتوجه أبو حيان التوحيدي كما رأينا بعد النعت بالأمر للسامع وهدفه التلبية والإجابة.

يلي استخدام "يا" و"أيها" في أسلوب النداء استخدام "اللهم" حيث ورد استخدام "اللهم" في النداء تسعا وعشرين مرة في عينة البحث بنسبة مئوية قدرها ١٤% وأصل كلمة "اللهم" "يا الله" فحذف حرف النداء، وعوض عنه بالميم المشددة"[٢] وكثيراً ما يأتي في النداء بعد اللهم فعل الأمر بغرض الدعاء والاعتراف بالتقصير، والضعف والهوان أمام القوي العظيم الجبار، وأعتقد أن استخدام أبي حيان

١- مغني اللبيب، ص ٩٠.

٢- الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص ١٤٠.

التوحيدي للفظ "اللهم" يعزز موقف المناجاة الذي يقف فيه أبو حيان التوحيدي، فهو يتلذذ بذكر لفظ الجلالة ويميل إلى تنوع النداء فيتحرر قليلا من نمط استخدام "يا" في النداء إلى "اللهم" ففي اللفظ حرارة المناجاة ودفء المناداة، وهي تناسب الاعتراف بالتقصير والطلب والدعاء الذي يأتي في صورة الأمر من ذلك قوله في الرسالة الخامسة والثلاثين: "**اللهم إني أشكو إليك شاهدا خَدُوعا**"، "**اللهم فاجمع هذا الشمل المُبَدَد**"، "**اللهم صِلْ التوفيق بقولنا**"، ويقول في الرسالة الثالثة والعشرين: "**اللهم اكفنا من كل مكايد**"، "**اللهم اشْغَلنا بذكرك عن ذكر غيرك**".

يلي استخدام "اللهم" في النداء استخدام "إلهنا" فقد استخدمها أبو حيان التوحيدي في النداء خمس عشرة مرة في عينة البحث بنسبة مئوية ٧,٣% واستخدام أبي حيان التوحيدي لهذه الصيغة يدل على رغبة أبي حيان التوحيدي في التواصل مع السامعين وإشراكهم معه في المناجاة التي يتوجه من خلالها إلى الله سبحانه وتعالى، ويبثه فيها اعترافات التقصير ويظهر فيها رغبته في التوبة والتكفير عن الذنوب والمعاصي. يقول التوحيدي في الرسالة الحادية والثلاثين "**إلهنا نحن عبيدك مُتَصرفون على إرادتك**"، وفى الرسالة الخامسة عشرة "**إلهنا لا جَمَال إلا لوجهك**"، "**إلهنا كيف نطلبك وأنت قبل الطلب موجود**"، "**إلهنا فبقدرتك التي أتت من وراء خلقك**".

أما عن استخدام أبي حيان التوحيدي لصيغة "يا أيها" في النداء وهي الصيغة ذات العناصر المتكاثفة في النداء، فأبو حيان التوحيدي لم يستخدمها إلا في الرسالة السابعة والأربعين من عينة الإحصاء وذلك حينما أراد أقصى درجة من درجات الانتباه والتركيز والإنصات مثل قوله: "**يا أيها العالم اعمل فالراجي من عمل**"، "**يا أيها اللاعب جُد فالمستظهر من جَد**"، "**يا أيها العابد أخلص فالمَقبُول من أخلص**".

والملاحظ أن استخدام أبي حيان التوحيدي لصيغة "يا أيها" في النداء جاء قليلا بل نادرا، وهذا يخالف أساليب النداء في القرآن الكريم فصيغة "يا أيها" هي أكثر

أساليب النداء ورودا في القرآن الكريم، "وسر ذلك هو أهمية المقاصد التي نادى الحق خلقه ليسمعهم إياها"[١].

و جاء حذف الأداة بنسبة مساوية لنسبة ورود صيغة "يا أيها" المكثفة العناصر، وأبو حيان التوحيدي حينما يحذف الأداة في جمل النداء فإنه غالبا ما تكون جمل النداء هذه معطوفة على جمل نداء سابقة أداتها موجودة.

١- دلالات التركيب، ص٢٦٢.

الصور التركيبية لجمل النداء

يأتي النداء في كتاب "الإشارات الإلهية" في صور متعددة وهي:

١- نداء + جملة خبرية

نحو قول التوحيدي: "**اللهم إني أشكو إليك**"[١]، "**يا هذا الحركة في نوعِ السكونِ**"[٢]، "**إلهنا نحن عبيدُك متصرفون على إرادتك**"[٣].

٢- نداء + أمر

نحو قول التوحيدي: "**اللهم صل التوفيق بقولنا**"[٤]، "**يا هذا ارفع طرفك**"[٥]، "**يا هذا عَضَّ على ناجزك**"[٦].

٣- نداء + ف + أمر

نحو قول التوحيدي: "**اللهم فاجمع هذا الشمل المبدد**"[٧]، "**اللهم فسلمنا كما شئت**"[٨]، "**اللهم فاجعل قولنا فيك مسموعا**"[٩].

٤- نداء + نعت + أمر

نحو قول التوحيدي: "**أيها الإنسان تنبه**"[١٠]، "**يا أيها العالم اعمل**"[١١]، "**يا أيها الناسك اثبت**"[١٢].

٥- نداء + استفهام

نحو قول التوحيدي: "**يا هذا أتدري من شيطانك؟**"[١٣]، "**يا هذا كيف أوردك**

١- الإشارات الإلهية، تحقيق د/ وداد القاضي، ص ٢٣٥.

٢- المصدر السابق، ص٢٤١.

٣- المصدر السابق، ٢٠٨.

٤- المصدر السابق، ٢٤١.

٥- المصدر السابق، ٢٤١.

٦- المصدر السابق، ٣٣٨.

٧- المصدر السابق، ٢٣٥.

٨- المصدر السابق، ١٠٩.

٩- المصدر السابق، ٢١٢.

١٠- المصدر السابق، ٢١١.

١١- المصدر السابق، ٣٣٥.

١٢- المصدر السابق، ٣٣٥.

١٣- المصدر السابق، ٢٤٣.

رياض هذه النعم؟"[1]، "إلهنا كيف نطلبك وأنت قبل الطلب موجود؟"[2]، "حبيبي أما ترى ضيعتي في تحفظي؟"[3].

٦- نداء + نعت + جار ومجرور + استفهام

نحو قول التوحيدي: "**أيها الساكت بالعيِّ كم تظن أنك سالم من العُتْبِ**"[4]، "**أيها الناطق باللسان أين شعارك الذي يشهد لك بالصدق؟**"[5].

٧- نداء + شرط

نحو قول التوحيدي: "**يا هذا إذا زخر بك وادي الدعاء فاعلم أنك مخصوص بالإجابة**"[6]، "**يا هذا إذا كنت ثَاكِلا فَنُح**"[7]، "**إلهنا لو قدرناك حق قدرك لم نطف بذكرك**"[8]، "**يا هذا إذا ترنموا لك بغيب التوحيد على ألحان المعرفة فاشخص عن مكانك**"[9].

٨- نداء + نهي

نحو قول التوحيدي: "**يا هذا لا تُرَع فما أقربني منك**"[10]، "**يا هذا لا تَكْذِبَنَّ نفسك**"[11].

٩- نداء + نفي

نحو قول التوحيدي: "**سيدي ليس بموفق من توسل بغير الافتقار إليك**"[12]، "**إلهنا لا جمال إلا لوجهك**"[13].١٠

١٠ــ نداء + اسم معطوف

١- الإشارات الإلهية، تحقيق د/ وداد القاضي، ص ٣٣١.

٢- المصدر السابق، ص١٠٣.

٣- المصدر السابق، ص١٠٣.

٤- المصدر السابق، ص١٧٧.

٥- المصدر السابق، ص١٧٧.

٦- المصدر السابق، ص ٢.

٧- المصدر السابق، ص ٣.

٨- المصدر السابق، ص ١٧٧.

٩- المصدر السابق، ص ٢٤٢.

١٠- المصدر السابق، ص ٢٣٦.

١١- المصدر السابق، ص ٢٩٢.

١٢- المصدر السابق، ص ١٥٧.

١٣- المصدر السابق، ص ١٠٢.

نحو قول التوحيدي: "**يا ذا الجلال والإكرام**"[١] وقد تكررت هذه البنية كثيرا فقد وردت في معظم رسائل الكتاب.

١١- نداء + نعت + اسم معطوف + اسم استفهام

نحو قول التوحيدي: "أيها **الصديق المخالف والصاحب المُكانِفُ أما ترى انتشاري في كلامي**"[٢].

١٢- نداء + قسم

نحو قول التوحيدي: "**إلهنا بحرمة هذه السابقة منك إلينا**"[٣].

١٣- أمر + نداء + بدل + مفعول به

نحو قول التوحيدي: "**بادر يا هذا وكذب نفسك**"[٤].

مما سبق يتضح لنا أن النداء في "الإشارات الإلهية" جاء على صور تركيبية متعددة، وكثيرا ما أتى بعد النداء الأمر، ولعل سبب ذلك كون النداء ينبه الذهن إلى ما بعده من حكم فإذا تبعه الأمر وجد النفس مهيأة، والعقل يقظا والقلب متنبها، فيقع الأمر منه موقع الإصابة فسبق الأمر بالنداء لتنبيه المخاطب يدل على عناية الآمر بأمره الذي ألقاه إلى المأمور، ورغبته في إعداد نفس المخاطب لتلقي الأمر الذي أعقب النداء"[٥].

وقد وعى أبو حيان التوحيدي هذه الدلالة فأكثر من استخدام الأمر بعد النداء، ليثبت تحكمه في لغته، وسيطرته على أدواته، فالنداء يعد من مقومات أسلوب الأمر.

كما تأتي بعد النداء الجملة الخبرية، ولكن بنسبة أقل من فعل الأمر وفى رأيي أن ذلك راجع إلى الحالة التي تسيطر على أبي حيان التوحيدي فهو في حال التمجيد والتقرير، والاعتراف بعظمة الله سبحانه وتعالى.

١- الإشارات الإلهية، تحقيق د/ وداد القاضي، ص ١٠.

٢- المصدر السابق، ص ٢٨٤ ، المكانف اى المعاون .

٣- المصدر السابق، ص ١٠٣.

٤- المصدر السابق، ص ١٥٥.

٥- بلاغة الأساليب الإنشائية في القرآن الكريم، د/ عبد العزيز عبد السلام محمد، أسيوط، دار الهلال، ١٩٩٩، ص ١٢١.

دلالات النداء

ذكرت أن النداء هو طلب المنادي بأحد أحرف النداء، ولكن دلالات النداء قد تخرج عن هذا المعنى إلى معانٍ جانبية، هذه المعانى لا تعطيها الصيغة لكن القرينة، و" هذه المعانى الجانبية أحيانا تظهر واضحة في الجملة، وفى المقابل نجد ما ترى المعنى فيه خفيا لا يظهر لك بوضوح"[١].

وهذه المعاني في كثير من صورها سوانح خفية أشبه بالأسرار الغامضة"[٢] وأنا أحاول اكتشاف المباني المتمثلة أمامي حتى أصل من خلالها إلى المعاني التي يقصدها الكاتب معتمدا على التذوق القائم على المعرفة.

من خلال كتاب "الإشارات الإلهية" قد يمتنع حمل النداء على حقيقته، فيتولد بمعونة القرائن والسياق متولدات متعددة أظهرها:

١- بث الشكوى، وإظهار التضرع والخضوع لله سبحانه وتعالى، نحو قول التوحيدي: "**اللهم إني أشكو إليك شاهدا خدوعا**"[٣]، "**إلهنا نحن عبيدك متصرفون على إرادتك**"[٤]، "**اللهم إنا نخشع لك لائذين بك**"[٥]، "**اللهم إنا قد قابلناك بوجوهنا فحينا**"[٦].

فأبو حيان التوحيدي يبث شكواه لخالقه يستنزل بها رحمته، ويستجلب رأفته سبحانه وتعالى، وذلك في حال إظهار كمال الخضوع والتسليم لله سبحانه وتعالى، ودل على ذلك استخدامه ألفاظ "أشكو"، "عبيدك"، "نخشع".

٢- وقد أتى النداء لتمجيد المولى سبحانه وتعالى، نحو عبارة: "يا ذا الجلال والإكرام" وهي عبارة تتكرر في أغلب رسائل الكتاب، وغالبا ما تنتهي بها الرسالة إظهارا لقدرة الله سبحانه وتعالى وعظمته من خلال ألفاظ "الجلال"، "الإكرام" ونحو

١- بلاغة الأساليب الإنشائية، ص ٣٢.

٢- المرجع السابق، ص ٣٢.

٣- الإشارات الإلهية، تحقيق د/ وداد القاضي، ص ٢٣٥.

٤- المصدر السابق، ص ٢٠٨.

٥- المصدر السابق، ص ٢٨٤.

٦- المصدر السابق، ص ٢٠٩.

قول أبي حيان التوحيدي: "يا حافظ الأسرار... يا واهب الأعمار يا منشئ الأخبار، يا مولج الليل في النهار"[١].

وهذه العبارات المشرقة الناصعة التي يمجد بها أبو حيان التوحيدي ربه وخالقه تعبر عن صدق إيمان التوحيدي وعمقه.

وقد أتى النداء في "الإشارات الإلهية" بغرض الدعاء نحو: "**اللهم اغننا بتنبيهك عن تنبيه خلقك**"[٢]، "**اللهم فاجعل قولنا لك مسموعا وفكرنا فيك مرفوعا**"، "**اللهم اكفنا كل مُكايد**"[٣]. يتوجه التوحيدي بعد النداء بالأمر الموجه إلى الله سبحانه وتعالى، فهو أمر من الأدنى للأعلى فيكون غرضه الدعاء. ولذلك خرجت دلالة النداء لغرض بلاغي هو الدعاء.

٤- وقد أتى النداء في "الإشارات الإلهية" بغرض إظهار الإنكار، والتعجب نحو قول التوحيدي: "**أيها الصديق المخالف والصاحب المكانف أما ترى انتشارى في كلامي**"[٤]، "**أيها الواعظ المُدِلُّ كم تهدي وأنت في واد من حقيقة وعظك؟ أيُّها الساكت بالعيِّ: كم تظن أنك سالٌم من العُتْبِ؟**"[٥].

لقد خرج النداء كما رأينا عن معناه الحقيقى إلى غرض إظهار التعجب فالتوحيدي في سياق التعجب من الصديق الذي لا يدرك حال صاحبه، وفى سياق الإنكار على الواعظ الذي يرشد الناس، وهو في أشد الحاجة إلى الهداية، وينكر على الساكت ظنه أنه سالم من العتاب.

٥- وقد ورد النداء في "الإشارات الإلهية" بقصد الإرشاد، نحو قول التوحيدي: "**يا أيها المَكْفيّ اسعدْ، فقد قيل السعيد من كفي ويا أيها المدبرُ أقبل فالمغبوط من أقبل، ويا أيها العاقل: تنبه فالمجدود من تنبه، ويا أيها الجاهل اعلم فالناجي من**

١- الإشارات الإلهية، تحقيق د/ وداد القاضي ، ص١.

٢- المصدر السابق ، ص٢١١.

٣- المصدر السابق، ص ١٥٤.

٤- المصدر السابق، ص ٢٨٤.

٥- المصدر السابق، ص ١٧٧.

علم، ويا أيها العالم: اعمل فالراجي من عمل، ويا أيها اللاعب جِدَّ، فالمستظهرُ من جَدَّ"[1].

يبدو الإرشاد والتوجيه هدفا كبيرا لدى التوحيدي في "الإشارات الإلهية" فهو يرشد، المُدبر إلى الإقبال، والمجدود إلى التنبه، والجاهل إلى العلم، والعالم إلى العمل، واللاعب إلى الاجتهاد، ولعلك تشعر القوة التي تتوافر في هذا التوجيه فيستخدم التوحيدي الأمر ويقويه بالنداء ثم يشدد عضدهما بذكر الدليل أو الدافع لتوجيه هذا الأمر، وقد تكرر هذا الأسلوب كثيرا عند التوحيدي إذ يعبر من خلاله عن رغبته الأكيدة، وصدقه في النصح والإرشاد.

٦- وقد ورد النداء لإظهار اليأس: نحو قول التوحيدي: "**أيها الصديقُ المجاورُ كيفَ أتكلم والفؤاد هائم بكل واد؟**"[2]. ونحو قوله: "**يا جافيَ الطبع، ويا قاسيَ القلب، ويا سيء الاختيار كيف يطمعُ الطامعُ في رشدك وهذا نظرك لنفسك**"[3].

تستشعر هنا يأس التوحيدي فالفؤاد هائم بكل واد وهو ينادي محاوره ويصفه بصفات الجفاء والقسوة، ويستبعد أن يقتنع أحد بكلامه، أو يعتقد فيه، و لم ينتفع هو به من قبل وقد يكون المعنى بالخطاب هنا التوحيدي نفسه في لحظات يأسه فقد خرج النداء عن غرضه الحقيقي لإظهار اليأس والسخط.

٧- كما ورد النداء في "الإشارات الإلهية" وغرضه التوبيخ والتأنيب

نحو قول التوحيدي: "**أيها الجائب للبلاد بزاد وبغير زاد أين غنيمتك من السفر؟**"[4] ونحو قول التوحيدي: "**أيها الناطق باللسان أين شعارك الذي يشهد لك بالصدق**"[5].

خرج النداء عن غرضه الحقيقي ليشعر بالتأنيب والتوبيخ فهو يؤنب المسافر في كل زمان وكل اتجاه وقد رجع خالي الوفاض لم يستفد من سفره شيئا ويؤنب ذلك

١- الإشارات الإلهية، تحقيق د/ وداد القاضي ، ص ٣٣٥.

٢- المصدر السابق، ص ٢٠٥.

٣- المصدر السابق، ص ٤.

٤- المصدر السابق، ص١٧٧.

٥- المصدر السابق، ص ١٧٧.

الناطق بالشعارات و لم يلتزم بأدائها.

٨- وقد أتى النداء في "الإشارات الإلهية" بغرض التأنيس

نحو قول التوحيدي: "**أيها السامع هذا كله تأنيس لك من الحق لأنك مستوحش بنفسك**"[١].

فالتوحيدي يريد أن يؤنس وحشة المنادى فخرج النداء عن غرضه الحقيقي ليدل على الأنيس وقرينة ذلك لفظ "تأنس" الذي ورد في العبارة.

٩- وقد ورد النداء في "الإشارات الإلهية" بغرض الحث والتحضيض

نحو قول التوحيدي: "**يا هذا إلى متى هذا التمطي وهذه التكأة؟**"[٢]، ورد ذلك في سياق استبطاء التمسك بأوامر الله والإعراض عنها والانصراف عن صحبة الله.

١٠- وقد ورد النداء في "الإشارات الإلهية" وغرضه التلطف

نحو قول التوحيدي: "**يا هذا الحديث ذو شجون**"[٣]، "وقوله: "**يا هذا إن كنت تحب نفسك فلا تحفر لها مُغوّتها بيدك**"[٤]، ورد ذلك في سياق التوجيه اللين الذي قدمه أبو حيان التوحيدي وقرينة ذلك قول التوحيدي: "**إن كنت تحب نفسك**"، على سبيل التحبيب في العمل واللين في التوجيه.

وخلاصة الحديث في مبحث النداء في كتاب "الإشارات الإلهية" أنه مبحث ثرّ حيث تتنوع في الكتاب تراكيب النداء كما تتنوع دلالات هذه التراكيب حيث يخرج النداء عن دلالاته الحقيقية لدلالات أخرى تستفاد من السياق والقرينة، وتبعا للتفاوت في الحالة النفسية يتراوح حديث أبي حيان التوحيدي بين اللين والشدة.

وإنني حين أدرس خصائص التراكيب ودلالتها إنما أدرس في الحقيقة " خصائص الحس، وأحوال الشعور لأن الجملة بشياتها المتعلقة بالصياغة هي في الحقيقة حالة ذهنية أو خطرة من خطرات النفس وخصائص الأحوال الروحية وملامحها، وشياتها

١- الإشارات الإلهية، تحقيق د/ وداد القاضي، ص٢٨٩.

٢- المصدر السابق، ص ٣٣٧.

٣- المصدر السابق، ص ٦.

٤- المصدر السابق، ص٣٣٨.

دقيقة جدا، وغامضة، وملبسة، ثم هي منعكسة في الكلام بكل هذا الغموض، وكل هذه الدقة والإلباس والتفلت"[١].

ولهذا فإن العناية بالكيفيات والتراكيب ليست إلا بحثا في أسرار القلوب والعقول، وما أصعب أن تواجه قلبا مفعما بالحيوية، ونفسا جياشة بالخواطر كقلب أبي حيان التوحيدي ونفسه.

إن معاني التراكيب غير محصورة، ولا ينبغي أن تقتصر على السماع من غير أن تتخطاه، ولعل أبا حيان التوحيدي شاهد على ذلك فقد تعدى النداء عنده معناه الحقيقي إلى معانٍ أخرى عديدة، والقارئ عندما يستجلي هذه المعاني لا بد أن يحكم الذوق المستند إلى المعرفة لأن: "التذوق غير المؤسس على المعرفة ضلال مبين"[٢].

لقد توجه أبو حيان التوحيدي إلى الله سبحانه وتعالى بالنداء للتمجيد والتعظيم أو لإظهار الخضوع والتوبة والندم، وقد يتوجه بالنداء وغرضه الدعاء وعندما يتوجه بالنداء للإنسان فهناك إيحاء يدل على أنه يوجه النداء للإنسان بصفة عامة " فهذا الذي يدعوه أبو حيان التوحيدي هو الإنسان عامة"[٣]، فينوع في دلالات النداء فقد يكون غرضه الحث أو التلطف أو التوبيخ إلى غيرها من الأغراض.

كما نلاحظ أن التوحيدي استعمل "يا هذا" في النداء بنسبة بلغت ٣١% حيث استخدم هذا التعبير (٦٣) مرة في عينة الإحصاء، ومن المعروف كون اسم الإشارة يدل على معين بواسطة إشارة حسية باليد ونحوها إن كان المشار إليه حاضرا أو إشارة معنوية إن كان المشار إليه معنى أو ذاتا غير حاضرة"[٤].

وفي استخدام كلمة "هذا" ما يدل على قرب المنادى من نفس أبي حيان التوحيدي لأن المشار إليه إذا كان قريبا جيء باسم الإشارة مجردا من الكاف وجوبا ومقرونا بها التنبيه جوازا"[٥].

١- دلالات التركيب، ص ٢٦٦.

٢- المرجع السابق، ص١٥.

٣- الإشارات الإلهية، تحقيق د/ وداد القاضي، ص ٢٤٣.

٤- قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام الأنصاري، شرح وتعليق محمد عبد المنعم الخفاجي، المنصورة، مكتبة الإيمان، ص ٦٢.

٥- المرجع السابق، ص٦٣.

المبحث الرابع
الاستفهام

الهمزة والسين والتاء تفيد معنى الطلب فالاستفهام كما يقول ابن هشام: "حقيقته طلب الفهم"[١]، "والفهم يعنى حصول صورة المراد فهمه في النفس وإقامة هيئته في العقل"[٢] وإذا نظرنا إلى مكونات الجملة فإن كل مكون يصلح أن يكون مقصودا بسؤال. والاستفهام يكون بأدوات مخصوصة "تنقسم هذه الأدوات على حروف وأسماء وظروف أما الحروف فتشمل الهمزة، (أم) على احتمال، وأما الأسماء فهي: (أي، كم، كيف، من، ما) وأما الظروف فهي: (أنى، أين، أيان، متى)"[٣].

هذا التقسيم يقوم على أساس نوع الأداة وهناك تقسيم يقوم على أساس عمل الأداة.

"فأدوات الاستفهام منها ما هو خاص بأشياء معينة فلا يسأل بها عن غيرها ومنها ما هو صالح لأن يسأل بها عن كل شيء"[٤].

وهي في هذا تنقسم إلى ثلاثة أقسام"[٥]

١- ما يسأل به عن التصديق تارة وعن التصور تارة أخرى، "الهمزة"[٦]

٢- ما يسأل به عن التصديق فقط "هل"[٧].

٣- ما يسأل به عن التصور فقط وهي باقي أدوات الاستفهام"[٨].

والمعروف أن استخدام الهمزة يؤدي بنا إلى اعتبارات تكثر في صياغة الجملة الداخلة عليها "تدق وتحتاج إلى حذر ووعي في استعمالها"[٩] كتحديد المستفهم عنه

١- مغنى اللبيب، ص ١٩.

٢- دلالات التركيب، ص ٢٠٧.

٣- أساليب الطلب في القرآن، خالد السيد عبد العال، جامعة الزقازيق، فرع بنها، كلية الآداب، ١٩٩٥، رسالة ماجستير، ص ٥٤.

٤- دلالات التركيب، ص١٠٨.

٥- بلاغة الأساليب الإنشائية، ص ١٦.

٦- الهمزة يسأل بها عن كل شيء في الجملة تصديقا أو تصورا أو إثباتا أو نفيا، التصور والتصديق من مصطلحات علم المنطق، فالتصور إدراك المفرد، والتصديق إدراك النسبة القائمة بين الموضوع والمحمول عليه.

٧- هل لا يسأل بها عن تصور أي ركن من أركان الجملة الملفوظة إنما يسأل بها عن الرابط أو الحكم أو الإسناد، والإجابة عنها تكون بنعم أو لا.

٨- هذه الأدوات يطلب بها تصور أشياء معينة هي معانيها التي وضع لها كل حرف منها ويكون الجواب عنها بتعيين المستفهم عنها.

٩- دلالات التركيب، ص ٢١٠.

وغيرها ومثلها هل يلاحظ أيضا في بناء الجملة اعتبارات أخرى أما باقي الأدوات التي يطلب بها تصور أشياء محدودة "لا يلتزمون في بناء الجملة معها شيئا زائدا عن الضبط العام في النظام الإعرابي"[1].

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن الاستفهام بوصفه من أنواع التراكيب قد يحمل على حقيقة معناه، وقد يمتنع حمله على حقيقته حيث تتولد بمعونة القرائن ما يناسب المقام، ولا تنحصر المتولدات"[2].

والحاكم في ذلك كما ذكرت سابقا هو سلامة الذوق، وحضور الذهن، والمعرفة المسبقة وهذه المعاني كثيرة وكثيفة ومتدافعة، منها الواضح ومنها الخفي.

وقد خصص هذا المبحث لتحديد ملامح البنية التركيبية للاستفهام وأهم ما تتميز به في كتاب "الإشارات الإلهية" ثم بيان الدلالات المتولدة والأغراض التي أرادها التوحيدي من خلال البنية التركيبية للاستفهام.

ولذلك قمت بإجراء إحصاء على تسع رسائل من رسائل الكتاب هي الرسالة (١) والرسالة (١٧) والرسالة (٢٤) والرسالة (٣١) والرسالة (٤٣) والرسالة (٤٦) والرسالة (٤٩) والرسالة (٥٢).

حيث وجدت أن هذه الرسائل تمثل أغلب صور البنية التركيبية للاستفهام في "الإشارات الإلهية" كما تمثل تنوعا في الدلالات الناتجة عن هذه البنية.

١- دلالات التركيب، ص ٢٠٩.

٢- بلاغة الأساليب، ص ٧٩.

الرسالة	أ	هل	أي	كم	كيف	من	ما	أنى	أين	أيان	متى	مجموع
١	–	١	–	–	٥	١	–	–	٤	–	–	١١
١٧	٣	١	–	–	–	٢	٢	–	٢	–	٥	١٥
٢٤	١	١	–	–	٣	–	٦	–	–	–	١	١٢
٣١	٥	–	١	–	٧	١	٢	–	–	–	–	١٦
٤٣	٥	–	–	–	–	–	٥	–	١٠	–	–	٢٠
٤٦	١	٦	٨	–	٣	٢٢	١	–	٢	–	–	٤٣
٤٩	٣	٢	٢	–	٢	١	٥	–	١٤	–	–	٢٩
٥١	١٩	٤	–	–	٥	٢	٢	–	٩	–	١	٢٤
٥٢	١٥	١٤	٤	–	٢	–	٤	–	٩	–	٣	٥١
مجموع	٥٢	٢٩	١٥	–	٢٧	٢٩	٢٧	–	٥٠	–	١٠	٢٣٩
نسبة مئوية	%٢١.٨	%١٢.١	%٦.٣	صفر%	%١١.٣	%١٢.١	%١١.٣	صفر%	%٢٠.٩	صفر%	%٤.٢	%١٠٠

الإحصاء السابق يوضح لنا أن عدد جمل الاستفهام في عينة الإحصاء هو (٢٣٩) جملة، وقد أكثر التوحيدي من استخدام أداة الاستفهام "الهمزة" حيث استخدمها (٥٢) مرة بنسبة مئوية ٢١.٨% وتلاها في الاستخدام (أين) أستخدمها (٥٠) مرة بنسبة مئوية ٢٠.٩% وهناك أدوات استفهام لم يستخدمها التوحيدي قط هي "كم"، "أنى".

والسؤال الذي يطرحه البحث هنا:

ما دلالة ذلك عند أبي حيان التوحيدي؟، هل يسير مع نظام بنية اللغة أم يخالفها؟

تعد الهمزة من أدوات الاستفهام قال ابن هشام: "الألف أصل أدوات الاستفهام"[١] لأن دلالتها على الاستفهام إنما يكون بذاتها أما دلالة غيرها عليه فيكون بالتضمين أو التطفل فالتطفل يكون في هل، والتضمين يكون في جميع الأدوات.

والهمزة هي أداة الاستفهام الوحيدة التي يسأل بها عن كل شيء في الجملة "وإنما تدخل على الإثبات كما تقدم وعلى النفي"[٢].

١- مغني اللبيب، ص ٢١.

٢- المرجع السابق، ص ٢٢، ومن خواص همزة الاستفهام أنها إذا كانت في جملة معطوفة بالواو أو بالفاء أو بثم قدمت على العاطف تنبيها على أصالتها في التصدير نحو أو لم ينظروا أفلم يسيروا ، أخواتها تتأخر عن حروف العطف.

إذا كان هذا موقع الهمزة بين أدوات الاستفهام فليس غريبا أن يكثر التوحيدي من استخدامها، فهو يسير وفق تقاليد العربية التي جعلتها أم هذا الباب لأصالة الاستفهام بها وتنوع استخدامها الحقيقي والمجازي، وقد ذكر ابن هشام في المغني أن الهمزة قد تخرج عن الاستفهام الحقيقي فترد لثمانية معان"[١].

وأرجح أن المعاني التي ترد إليها همزة الاستفهام لا تقتصر على تلك المعاني التي أوردها ابن هشام، فقد تخرج الهمزة لأغراض أخرى كالدعاء، والالتماس وغيرها كما سنرى.

وجاء بعد الهمزة في الاستفهام " أين" وأين اسم من أسماء الأمكنة مهم تقع على الجهات الستة وكل مكان يستفهم بها عنه[٢] ولا تكون إلا للأماكن وقد وردت أداة الاستفهام أين (٥٠) مرة بنسبة مئوية ٢٠.٩% وهي نسبة كبيرة، وأعتقد أن سبب ذلك هو حيرة التوحيدي واستفساره عن موقعه بين الناس وعن موقع علمه، وثقافته فهو دائما ما يبحث عن المكان، وعن المكانة ويبحث عن الملجأ والمأوى وعن مكان الناصر المعين.

كل هذا جعل من "أين" ضالة وقع عليها التوحيدي أعانته على إظهار مكنونات نفسه، فسأل بها، وطلب الفهم لقد جاءت الأداة معبرة عن إحساس التوحيدي وشعوره، ومعبرة عن خبرته وبحثه عن المكان الصحيح.

تلي الهمزة و"أين" في نسبة الورود "هل" فقد وردت (٢٩) مرة بنسبة مئوية ١٢.١% وهل "حرف موضوع لطلب التصديق الإيجابي"[٣] فهي تختص بالتصديق، والإيجاب تقول "هل زيد قائم" ويمتنع "هل لم يقم زيد"[٤].

١- مغني اللبيب، ص ٢٣، هذه المعاني الثمانية هي: التسوية، الإنكار، الإبطالي، الإنكار التوبيخي، التقرير، التهكم، الأمر، التعجب، الاستبطاء

٢- شرح المفصل، لابن يعيش، القاهرة، مكتبة المتنبي، بدون عام للطبع، ص ٤٥/٧.

٣- مغني اللبيب، ص ٤٠٣.

٤- المرجع السابق ص ٤٠٣، وذكر ابن هشام أن هل تختص بعدم الدخول على الشرط ولا على إن وتمتاز بأنها تقع بعد العاطف لا قبله وأنها تأتي بمعنى قد وذلك مع الفعل.

ولعل السبب في كثرة استخدام التوحيدي لـــ "هل" كون هل نزاعة إلى الأفعال وصياغة الاسمية معها يعني أنها خالفت ما تنزع إليه، ولا يكون ذلك إلا لهوى في نفسك"[1] وتعليل نزوعها إلى الأفعال أنها. للتصديق، والتصديق حكم، والحكم إنما يتوجه إلى الصفات والأفعال، وهذه رحم بينها وبين الأفعال والرحم أنها تعمل في الأفعال من حيث أنها تخلص المضارع إلى الاستقبال، وهذا نوع من التأثير، ولا يكون التأثير إلا حيث يكون الاختصاص"[2].

إن الأفعال التي تنزع إليها هل التي تدل على التجدد والحدوث تناسب الاضطراب والتأجج الذي يملأ نفس أبي حيان التوحيدي، وأعتقد أن هذا سبب يبرر كثرة استخدام أبي حيان التوحيدي لأداة الاستفهام هل بكثرة في كتاب "الإشارات الإلهية".

وقد جاءت "من" بنفس نسبة ورود هل ١٢.١% يقول ابن فارس "من اسم لمن يعقل نقول "لقيت من لقيت" و"من مر بك؟" في الاستفهام، وهو يكون في الواحد والاثنين والجمع"[3].

ويستخدم أبو حيان التوحيدي هذه الأداة غالبا عندما يكون المستفهم عنه هو الله سبحانه وتعالى وكثيرا ما يخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى معانٍ ودلالات أخرى متولدة وفقا لأحوال التوحيدي ومواقفه.

١- دلالات التراكيب، ص ٢١٨.

٢- المرجع السابق، ص ٢١٨.

٣- الصاحبي، لأبي الحسن أحمد بن فارس، تحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٣م، ص ٢٧٤.

الصور التركيبية لجمل الاستفهام

تنوعت الصور التركيبية لجمل الاستفهام في كتاب "الإشارات الإلهية" كما تنوعت أدواته وأظهر الصور:

(١) أداة استفهام + ضمير

نحو قول التوحيدي: "**أين أنت؟**"[١]، "**ما أنت؟**"[٢]، "**كيف أنت؟**"[٣].

(٢) أداة استفهام + اسم

نحو قول التوحيدي: " **أين الأمان؟**"[٤]، "**أين الملوك؟**"[٥]، "**أين المطلوب؟**"[٦].

(٣) أداة استفهام + اسم + حرف عطف + اسم

نحو قول التوحيدي: "**أين مخايله وشواهده؟**"[٧]، "**أين وسائطه وفرائده؟**"[٨]، "**أين ترفقي وتحققي؟**"[٩].

(٤) أداة استفهام + جملة اسمية

نحو قول التوحيدي: "**هل أنت معتبر؟**"[١٠]، "**هل أنت عارف؟**"[١١].

(٥) أداة استفهام + أداة نفي + جملة اسمية

نحو قول التوحيدي: "**ألا صافى من كدر الأقذار؟**"[١٢] **ألا متميز من عادة الأغمار؟**"[١٣]، "**أليس مرُها غامراً لحلوها؟**"[١٤]، "**أليس كدرها غالبا لصفوها؟**".

١- الإشارات الإلهية، تحقيق د/ وداد القاضي، ص ٣٤٦.

٢- المصدر السابق، ص ٣٤٦.

٣- المصدر السابق، ص ٣٤٦.

٤- المصدر السابق، ص ٧.

٥- المصدر السابق، ص ٣٥٧.

٦- المصدر السابق، ص ٧.

٧- المصدر السابق، ص ٣٦٩.

٨- المصدر السابق، ص ٣٦٩.

٩- المصدر السابق، ص ٣٤٣.

١٠- المصدر السابق، ص ٣٥٧.

١١- المصدر السابق، ص ٣٥٨.

١٢- المصدر السابق، ص ٣٦٨.

١٣- المصدر السابق، ص ٣٦٨.

١٤- المصدر السابق، ص ٣٦٨.

(٦) حرف جر + أداة استفهام + جملة اسمية

نحو قول التوحيدي: "**إلى متي هذه الغفلة واللهو؟**".

(٧) أداة استفهام + خبر مقدم + مبتدأ مؤخر

نحو قول التوحيدي: "**هل لنا من مناص؟**"[١].

(٨) أداة استفهام + نفي + خبر مقدم + مبتدأ مؤخر

نحو قول التوحيدي: "**أما لك هذه الأحوال العجيبة فطانة؟**"[٢]، "**أما لك مما ترى فيما لا ترى عبرة؟**"[٣]، "**أما لك مما تشهد فيما لا تشهد عبرة؟**"[٤].

(٩) أداة استفهام + جملة فعلية فعلها ماضٍ

نحو قول التوحيدي: "**هل شهدت حالا؟**"[٥]، "**هل علمتم ماذا أريد بكم؟**"[٦].

(١٠) أداة استفهام+ جملة فعلية فعلها مضارع

نحو قول التوحيدي: "**متى تعرف الفضل؟**"[٧]، "**كيف أرجو شفاء حالي؟**"[٨].

(١١) أداة استفهام+ حرف نفي + جملة فعلية فعلها مضارع

نحو قول التوحيدي:" **أما تعتبر بمن مضى؟**"[٩]، "**أما ترى قصورها موقوفة على خرابها**"[١٠].

(١٢) أداة استفهام +مفعول به + فعل ماضٍ

نحو قول التوحيدي: "**هل نسيم حضرته عبقتم؟**"[١١].

١- الإشارات الإلهية، تحقيق د/ وداد القاضي، ص ٧.

٢- المصدر السابق، ص٢٠٧.

٣- المصدر السابق، ص ٢٠٧.

٤- المصدر السابق، ص ٢٠٧.

٥- المصدر السابق، ص ٣٤٦.

٦- المصدر السابق، ص ٣٦٩.

٧- المصدر السابق، ص٣٦٦

٨- المصدر السابق، ص٣٤٢

٩- المصدر السابق، ص٣٦٧

١٠- المصدر السابق، ص٣٥٦

١١- المصدر السابق، ص٣٦٩

(١٣) حرف جر + أداة استفهام + فعل مضارع

نحو قول التوحيدي: "**إلى متى تدبر؟**"[١]، "**إلى متى تصم؟**"[٢]، "**إلى متى تعمى؟**"[٣].

(١٤) حرف جر + أداة استفهام + مضاف إليه + جملة فعلية

نحو قول التوحيدي: "**فبأي زيادة ربحتم؟**"[٤]، "**بأي فائدة انقلبتم؟**"[٥].

(١٥) أداة استفهام + فعل مضارع + مصدر مسئول

نحو قول التوحيدي: "**أتريد أن تجالس الملوك؟**"[٦]، "**أتريد أن تصيب الهدف؟**"[٧].

(١٦) أداة استفهام + اسم موصول + جملة فعلية

نحو قول التوحيدي: "**ما الذي يراد بك؟**"[٨]، "**ما الذي تريد؟**"[٩].

(١٧) أداة استفهام + اسم إشارة + بدل + جار ومجرور

نحو قول التوحيدي: "**ما هذا التعلل بأحلام النائمين؟**"[١٠]، "**ما هذا الإعراض عن علم اليقين؟**"[١١].

(١٨) أداة استفهام + جار ومجرور + جار ومجرور

نحو قول التوحيدي: "**من لنا بك؟**"[١٢]، "**من عليَّ منك؟**"[١٣].

١- الإشارات الإلهية، تحقيق د/ وداد القاضي، ص١١٨

٢- المصدر السابق، ص١١٨

٣- المصدر السابق، ص١١٨

٤- المصدر السابق، ص٣٦٨

٥- المصدر السابق، ص٣٦٨

٦- المصدر السابق، ص٣٦٣

٧- المصدر السابق، ص٣٦٣

٨- المصدر السابق، ص ٣٤٦.

٩- المصدر السابق، ص٣٤٦.

١٠- المصدر السابق، ص٣٠٢.

١١- المصدر السابق، ص٣٠٢.

١٢- المصدر السابق، ص١٢١.

١٣- المصدر السابق، ص١٢٢.

(١٩) اسم + أداة استفهام + جملة فعلية

نحو قول التوحيدي: "**حضرة من قصدنا وسرنا؟**"[١]، "**كلمة من اعتقدنا واعتمدنا؟**"[٢]، "**خاتم من أخذنا وملكنا؟**"[٣].

(٢٠) أداة استفهام + شرط

نحو قول التوحيدي: "**كيف إذا سئلت؟**"[٤]، **كيف إذا طولبت؟**"[٥].

(٢١) أداة شرط + جملة فعل الشرط + الفاء + الاستفهام

نحو قول التوحيدي: "**إن كنت مع اليقين فأين الهيبة؟**"[٦]، "**إن كنت مع الحياء فأين المراقبة؟**"[٧].

١- الإشارات الإلهية، تحقيق د/ وداد القاضي، ص٣٢٩.

٢- المصدر السابق، ص ٣٢٩.

٣- المصدر السابق، ص ٣٢٩.

٤- المصدر السابق، ص ٨.

٥- المصدر السابق، ص ٨.

٦- المصدر السابق، ص ٣٠٥.

٧- المصدر السابق، ص ٣٠٥.

دلالات الاستفهام

"إذا كان الاستفهام هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن بأدوات مخصوصة هي أدوات الاستفهام، وهذه الأدوات منها ما يختص بأشياء معينة " ومنها ما هو صالح لأن يسأل به عن كل شيء"[١] فقد يتعذر حمل الاستفهام على حقيقة معناه فتخرج دلالات أدواته وصيغه عن حقيقة مواضعتها وهنا نجد معاني جديدة قد تولدت واتضحت لنا بمعونة السياق، والقرائن الحالية واللفظية، والسؤال الذي يطرحه البحث الآن ما تلك الدلالات التي تولدت عن الاستفهام في كتاب "الإشارات الإلهية"؟.

إن أدوات الاستفهام تشيع معاني كثيرة ورحبة، وهذه المعاني، تتميز بأنها خفية وهاربة لا تستطيع وصفها بدقة وسيطرة، وهذا ليس بعيدا عن طبيعة اللغة"[٢] التي تحوي بحرا من المعاني والأحوال والمشاعر يعبر عنها بواسطة كلمات محدودة وهي وسيلة الإبانة لذلك "القول بأن المعاني أكبر من الكلمات، وأن الكثير من المشاعر والأفكار تحتبس في صدور الناس، ولا تحملها كلماتهم، وأشعارهم مما لا يرتاب فيه من يعرف طبيعة اللغة"[٣].

لذلك قمت برصد أظهر المعاني التي خرج لها الاستفهام في كتاب "الإشارات الإلهية" فكانت كالتالي:

١- خرج الاستفهام عن معناه الأصلي ليدل على التقرير

نحو قول التوحيدي: "**أما ترى خبرها؟**"[٤]، "**أليس مُرُّها غامرا لحلوها؟**"[٥]، "**أليس كدرُها غالبا لصفوها؟**"[٦]، حيث ورد الاستفهام في سياق تقرير الحقائق فالدنيا يغلب عليها الكرب والمر يغمر الحلو والكدر يغلب الصفو.

٢- خرج الاستفهام عن معناه الأصلي ليدل على الأمر

١- دلالات التراكيب، ص ٢٠٨.

٢- المرجع السابق، ص ٢٢١.

٣- المرجع السابق، ص ٢٢١.

٤- الإشارات الإلهية، تحقيق د/ وداد القاضي، ص ٣٥٦.

٥- المصدر السابق، ص ٣٥٦.

٦- المصدر السابق، ص ٣٥٦.

نحو قول التوحيدي: "**أما تعتبُر بمن مضي من أسلافِك؟**"[١]، "**أما يردعك عن جهلك رادع**"[٢]، "**ألا مستحيَ من إعراضه عن الله؟**"[٣]، "**ألا هاربَ من أوطانِ الشارديـــن عن الله؟**"[٤]. لقد خرج الاستفهام عن معناه الحقيقي ليدل على الأمر، واتضح ذلك من مراجعة السياق فأبو حيان التوحيدي يقدم الأسئلة في سياق توجيه الأمر لمخاطبيه فهو يأمرهم بالاعتبار بالأسلاف، والارتداع عن الجهل، والاستحياء من الإعراض عن الله، والهرب من أوطان الشاردين.

٣- كما خرج الاستفهام في "الإشارات الإلهية" عن معناه الأصلي ليفيد التعجب

نحو قول التوحيدي: "**أما لك مما ترى فيما لا ترى عبره؟**"[٥]، "**أما لك مما تشهد فيما لا تشهدُ خبرةٌ؟**"[٦]، "**أما لك في هذه الأحوال العجيبة فطانة؟**"[٧].

حيث دل الاستفهام على التعجب،وذلك بمراجعة السياق الذي ورد فيه الاستفهام فهو يتعجب من أحوال السامعين، "**وكيف لا يعتبرون ولا يتعظون**"[٨].

٤- وقد ورد الاستفهام في "الإشارات الإلهية" وغرضه التيئيس

نحو قول التوحيدي: "**أتريد أن تصيبَ الهدفَ ولم تسددْ؟**"[٩]، "**أتريد أن تبلغ المنزل ولم تجتهد؟**"[١٠]، "**أتريد أن تلحظ الأعلى ولم تُحَدّق؟**"[١١].

فقد ورد الاستفهام في سياق التيئيس من الحصول على الشيء بدون السعي له، والاجتهاد في الوصول إليه، ويقدم التوحيدي الدليل على كلامه فلا هدف يصاب

١- الإشارات الإلهية، تحقيق د/ وداد القاضي، ص ٣٦٧.

٢- المصدر السابق، ص٣٦٨.

٣- المصدر السابق، ص٣٦٨.

٤- المصدر السابق، ص ٣٦٨.

٥- المصدر السابق، ص ٢٠٧.

٦- المصدر السابق، ص ٢٠٧.

٧- المصدر السابق، ص ٢٠٧.

٨- المصدر السابق، ص ١١٩.

٩- المصدر السابق، ص٣٦٣.

١٠- المصدر السابق، ص ٣٦٣.

١١- المصدر السابق، ص ٣٦٣.

بدون تسديد، ولا يبلغ المنزل من لم يجتهد في الوصول إليه، والمنزل هنا ليس منزلا عاديا لكنه المنزل الذي يطمح إليه كل صوفي مجتهد.

٥- وقد ورد الاستفهام في "الإشارات الإلهية" وغرضه النفي

نحو قول التوحيدي: "**هل لك فضل، في قوتك؟**"[١]، والسؤال جاء في سياق نفي أي قدرة للإنسان إلا من عند الله سبحانه وتعالى، ونحو قول التوحيدي: "**هل تركت الدنيا لأحد شُبْهةً أو إشكالا؟**"[٢] والسؤال جاء في سياق أن الأمور واضحة والدنيا هدفها واضح لم تترك شبهه أو إشكالا لأحد.

٦- كما خرج الاستفهام في "الإشارات الإلهية" عن معناه الأصلي ليفيد التمني

نحو قول التوحيدي: "**هل الرحمة مُتوقعة؟**"[٣]، "**وهل الفيئة موجودة؟**"[٤].

لقد ورد السؤال في سياق تمني الرحمة من الله سبحانه وتعالى وتمني الرجوع إليه حيث اكتسب الاستفهام دلالة جديدة هي الرغبة والتمني.

٧- كما ورد الاستفهام في "الإشارات الإلهية" ليدل على الحث

وذلك نحو قول التوحيدي: "**هل بعُذوبَة مناجاته تَلَذَّذْتم؟**"[٥]، "**وهل على نغمات سره طربتم؟**"[٦]، "**هل نسيم حضرته عبَقْتُمُ؟**"[٧].

فالاستفهام جاء في سياق حث أبي حيان التوحيدي لمستمعيه على التقرب إلى الله سبحانه وتعالى، والاستمتاع بعذوبة مناجاته، وعبق نسيمه ولذة طربه سبحانه وتعالى.

٨- كما خرج الاستفهام عن معناه الأصلي ليفيد التوبيخ والتقريع

١- الإشارات الإلهية، تحقيق د/ وداد القاضي ، ص ١١٧.

٢- المصدر السابق، ص ٣٥٦.

٣- المصدر السابق، ص ٣٢٥.

٤- المصدر السابق، ص ٣٢٥.

٥- المصدر السابق، ص ٣٦٩.

٦- المصدر السابق، ص ٣٦٩.

٧- المصدر السابق، ص ٣٦٩.

نحو قول التوحيدي: "**أين الملوك؟**"[١]، "**أين عزُهم؟**"[٢]، "**ما هذا الإعراض عن علم اليقين**"[٣]، حيث جاء الاستفهام في سياق توبيخ المستمع، وتقريعه لعدم اتعاظه، وإعراضه عن الحقيقة الواضحة أمامه.

٩- وقد خرج الاستفهام عن معناه الأصلي ليفيد الاستبعاد

نحو قول التوحيدي: "**كيف يؤوده أو يعوذه أو يفوته؟**"[٤].

جاء السؤال في سياق استبعاد أن يصيب الله عجز فهو القادر على كل شيء.

و نحو قول التوحيدي: "**كيف يقنط من رحمته؟**"[٥].

أيضا في سياق استبعاد القنوط من رحمة الله لأنه هو الغفور الرحيم.

١٠ – كما ورد الاستفهام في "الإشارات الإلهية" وغرضه التحسر

نحو قول التوحيدي: "**أين موقفي وتوقفي؟**"[٦]، **وأين تحرُّقي وتشوقي؟**"[٧]، "**أين ترفقي وتحققي؟**"[٨]، "**وأين تعسُّفي وتفلسفي؟**"[٩]، تأتي هذه التساؤلات في "الإشارات الإلهية" في سياق إظهار الحسرة التي يشعر بها التوحيدي على ما كان عليه حاله قبل الخلوص لله سبحانه وتعالى.

١١- كما خرج الاستفهام في "الإشارات الإلهية" عن معناه الأصلي ليفيد التنبيه والاستبطاء

١- الإشارات الإلهية، تحقيق د/ وداد القاضي ، ص ٣٥٦.

٢- المصدر السابق، ص ٣٥٦.

٣- المصدر السابق، ص٣٠٢.

٤- المصدر السابق ، ص٩.

٥- المصدر السابق، ص ٢٠٨.

٦- المصدر السابق، ص ٣٢٤.

٧- المصدر السابق، ص ٣٤٣.

٨- المصدر السابق، ص ٣٤٣.

٩- المصدر السابق، ص ٣٤٣.

نحو قول التوحيدي: "**إلى متى هذه الغفلة واللهو؟**"[١]، "**حتى متى إلى الشيطان سكونك؟**"[٢]، "**إلى متى تغتر وأنت تظن أنك غير مغتر؟**"[٣]، **إلى متى تعمي وفى تقديرك أنك بصير؟**"[٤].

وردت هذه التساؤلات في سياقات من التنبيه والتبصير للسامع كما تستشعر استبطاء التوحيدي ليقظة السامع، وتخلصه من سيطرة الشيطان عليه فهو ينبهه إلى حقيقة حاله، ويدعوه للانتفاض والإقبال على الله سبحانه وتعالى، والإبصار بكل ما يحيط به.

١٢- كما خرج الاستفهام عن معناه الأصلي ليفيد الإرشاد

تحو قول التوحيدي: " **ما الذي تريد** "؟[٥]، "**وما الذي يراد منك؟**"[٦]، "**وما على منك؟**"[٧].

الغرض من هذه الأسئلة هو الإرشاد إلى الشيء الذي يريد الإنسان، والذي يراد منه، فهو يوجه السامع التوجيه الصحيح، ويواجهه مع نفسه من خلال هذه الأسئلة.وفى سياق من الإرشاد الصحيح للسامع.

١- الإشارات الإلهية، تحقيق د/ وداد القاضي ، ص ٣٦٧.

٢- المصدر السابق، ص ٣٦٧.

٣- المصدر السابق، ص ١١٨.

٤- المصدر السابق، ص١١٨.

٥- المصدر السابق، ص ٣٤٦.

٦-المصدر السابق، ص ٣٤٦.

٧-المصدر السابق، ص ١٢٢.

المبحث الخامس

جمل الأمر

فعل الأمر ودلالته شغلا الدارسين في كثير من المجالات وخاصة الفقهاء والأصوليين لاتصال الصيغة بالوجوب والندب، وما إلى ذلك من أحكام فقهية توجب الحذر في الدراسة والاستنتاج"[1].

ورد في شرح المفصل لابن يعيش: "اعلم أن الأمر معناه طلب الفعل بصيغة مخصوصة، وله ولصيغته أسماء بحسب إضافاته فإن كان من الأعلى إلى من دونه قيل له أمر، وإن كان من النظير إلى النظير قيل له طلب، وإن كان من الأدنى إلى الأعلى قيل له دعاء"[2].

وغاية هذا المبحث دراسة صور الأمر من الناحية التركيبية، ومن الناحية الدلالية حتى يتم الوقوف على أهم ما يتميز به أسلوب الأمر تركيبيا ودلاليا في كتاب "الإشارات الإلهية".

أولا:

الصور التركيبية لجمل الأمر في كتاب: "الإشارات الإلهية"

للأمر صيغ عديدة، ولكن الصيغة الأصل التي هي حقيقة في الإيجاب: "افعل"، "لتفعل" أو ما يقوم مقامهما في تحقيق المعنى الأساسي لاستخدام أسلوب الأمر الذي هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء.ومن الصيغ المستخدمة للأمر بخلاف ما ذكر: اسم فعل الأمر والفرق بين اسم فعل الأمر وفعل الأمر أن فعل الأمر يعرف بعلامة مركبة من شيئين هما "دلالته على الطلب، وقبوله ياء المخاطبة"[3] أما اسم فعل الأمر فهو يدل على الطلب، ولا يقبل ياء المخاطبة.

ولقد قمت بإجراء إحصاء لعدد من رسائل كتاب "الإشارات الإلهية"، وهذه الرسائل هي (١)، (١٥)،(٢٠)، (٣١)، (٣٩)، (٤٣)، (٥١)

وقد وجدت أن الغالبية المطلقة في صيغ الأمر صيغة "افعل"، كما وجدت أن المضارع المقترن بلام الأمر لم يرد في الرسائل السبعة التي أجرى عليها الإحصاء إلا مرة واحدة فقط في الرسالة (١٥) حيث قال:" **فليحسد من شاء**"[4]، على الرغم من

١-دلالات التراكيب، ص ٢٤٧.

٢- شرح المفصل لابن يعيش، ت٦٤٣هـ، القاهرة، مكتبة المتنبي، د.ت، جـ٧، ص ٥٨.

٣- قطر الندى، ص١٤.

٤- الإشارات الإلهية، تحقيق د/وداد القاضي، ص ١٠٧.

أن صيغة المضارع المقترن بلام الأمر من أكثر صيغ الأمر شيوعا وكذلك لم يرد اسم فعل الأمر سوى مرتين إحداهما في الرسالة (٤٣) حيث قال: "**إياك وإلف السهو**"[١] وفى الرسالة (٣١) حيث قال: "**فهلم أيها الإنسان حتى لا ننطق إلا بما فيه فائدة**"[٢] أما باقي أساليب الأمر فهي بصيغة "افعل".

والإحصاء التالى يبين عدد جمل الأمر في كل رسالة من الرسائل السبع التي أجرى عليها الإحصاء.

رقم الرسالة	١	١٥	٢٠	٣١	٣٩	٤٣	٥١	المجموع
عدد جمل الأمر	٧٠	٤٢	١	٢٤	١٤	٤٦	٣٦	٢٣٣

وكما تنوعت الصور التركيبية للنداء والاستفهام فقد تنوعت أيضا الصور التركيبية للأمر وأبرز هذه الصور هي:

١- فعل الأمر

وهذه هي أبسط صورة للأمر حيث تتكون الجملة من فعل الأمر فقط الذي يعد جملة كاملة تفيد معنى يحسن السكوت عليه نحو قول أبى حيان "**زِنْ واتَّـــزِنْ، واخضع واستكن، وانظر واستحسن، وسلْ واستَبِنْ، وخَفْ واسْتَأمِن، وقَرْ واطْمَأنِنْ**"[٣]

٢- فعل أمر + فاعل + جار ومجرور

نحو قول التوحيدي: "**أوفوا بعَهْدي في دار محنتي**"[٤].

٣- فعل أمر + مفعول به

نحو قول التوحيدي: "**شَمِّرْ ذيلك**"[٥]، "**اقبل نصيحتي**"[٦]، "**احذر نفسَك**"[٧]، "**قَطِّع ليلك**"[١].

١- الإشارات الإلهية، تحقيق د/ وداد القاضي ، ص٣٠٧.

٢- المصدر السابق ، ص ٢١١.

٣- المصدر السابق، ص٦.

٤- المصدر السابق، ص٣٠٦.

٥- المصدر السابق، ص٣٦٢.

٦- المصدر السابق، ص٢٦٩.

٧- المصدر السابق، ص١٠٨.

٤- فعل أمر + مفعول به + جار ومجرور

نحو قول التوحيدي: "**املأنا ببرهان ربوبيتك**"[٢] وقد يتعدد المفعول به في هذا التركيب نحو "**أعطني أُجرتي على سعيي**"[٣] فأعطني يطلب مفعولين الأول هنا الضمير المتصل والثاني كلمة أجرة.

٥- فعل أمر+ جار ومجرور

نحو قول التوحيدي: "**اكتحل بالسهر**"[٤]، "**أغر بالفكر**"[٥]، "**ارتد بالجهل**"[٦]، "**عُد بنا**"[٧]، "**ادْنُ مني**"[٨].

٦- فعل أمر + مفعول به + مضاف إليه + مضارع منصوب

نحو قول التوحيدي: "**دَعْ سكران الهوى حتى يتهادى**"[٩]، "**دع مُقَلِّدَ الحال حتى يتمادى**"[١٠]، "**دع مُدَبِّر الخُلق حتى يوصف**"[١١].

٧- جملة فعل الشرط + جملة جواب شرط فعلها أمر

نحو قول التوحيدي: "**إذا عميت من الاعتبار بآثار السلف فاعلم أنك مخلي من الهداية**"[١٢].

وقوله: "**إذا تولى عليك هاتف العلم فاعلم أنك محثوث على العمل**"[١٣].

وقوله: "**إذا زخر بك وادي الدعاء فاعلم أنك مراد بالإجابة**"[١].

١- المصدر السابق، ص٣٦٢.

٢- الإشارات الإلهية، تحقيق د/ وداد القاضي ، ص٣٠٠.

٣- المصدر السابق، ص٢٦٠.

٤- المصدر السابق ، ص ٥.

٥- المصدر السابق، ص ٥.

٦- المصدر السابق، ص ٥.

٧- المصدر السابق، ص ٢٧٢.

٨- المصدر السابق، ص ٣٦٠.

٩- المصدر السابق، ص ١٠٥.

١٠- المصدر السابق، ص ١٠٥.

١١- المصدر السابق، ص ١٠٥.

١٢- المصدر السابق، ص ٢.

١٣- المصدر السابق، ص ٢.

٨- فعل أمر + ظرف + مفعول به

نحو قول التوحيدي: "**اشدد الآن وسطك**"[٢].

٩- فعل أمر + جار ومجرور + مفعول به

نحو قول التوحيدي: "**فَجَرِّ فينا ينابيع البيان**"[٣]،

"**أسبل علينا كثيف سترك**"[٤]، "**أنشئ فينا نورا**"[٥]، "**دَعْ عنك الشواغل**"[٦]

١٠- فعل أمر + مفعول به + جار ومجرور + نعت

نحو قول التوحيدي: "**حَسِّن أثرك بالنية القوية**"[٧]، "**زَيِّن وجهك بالصورة البهية**"[٨].

١١- فعل أمر + مضارع منصوب + مفعول به + مضاف إليه

نحو قول التوحيدي: "**فتعال حتى تلبس شعارهم**"[٩].

١٢- فعل أمر + مفعول به + مضاف إليه + جار ومجرور

نحو قول التوحيدي: "**واقبل نصيحتي بالشكر**"[١٠]، وقوله: "**وَصِل قُبُلك مني**"[١١].

١٣- أمر + جار ومجرور + جار ومجرور + مضاف إليه

نحو قول التوحيدي: "**عُد بنا إلى متن التوحيد**"[١٢].

١٤- فعل أمر + جملة اعتراضية + جار ومجرور + جملة فعليه

١- المصدر السابق، ص ٢.

٢- الإشارات الإلهية، تحقيق د/ وداد القاضي ، ص٣٦٢.

٣- المصدر السابق، ص ٣٠١.

٤- المصدر السابق ، ص ٣٠٠.

٥- المصدر السابق، ص ٣٠١.

٦- المصدر السابق، ص ٣٠١.

٧- المصدر السابق، ص ٣.

٨- المصدر السابق، ص ٣.

٩- المصدر السابق، ص٢٧٣.

١٠- المصدر السابق، ص ٢٦٩.

١١- المصدر السابق، ص ٢٦٩.

١٢- المصدر السابق، ص ١٠٧.

نحو قول التوحيدي: "**فاستقوا – أبقاك الله – بما أمرْتُك**"[١].

١٥– نداء + فعل أمر + جار ومجرور

نحو قول التوحيدي: "**يا هذا: اعتصم بالعروة الوثقى**"[٢]، "**يا هذا: استمتع بالنعمة**"[٣]، "**يا هذا: تنعم بالكلمات**"[٤]، "**يا هذا: اقطف من الشجرة**"[٥].

١٦– نداء + فعل أمر + مفعول به + جملة اسمية

نحو قول التوحيدي: "**يا هذا: تجنب الأضداد فإنها مفسدة**"[٦].

١٧– نداء + فعل أمر + حرف عطف + فعل أمر

نحو قول التوحيدي: "**يا جامع المال: قارب وانظر**"[٧].

١٨– نداء + فعل أمر + حال

نحو قول التوحيدي: "**يا هذا: تقلب متنعما**"[٨].

١٩– فعل أمر + نداء + مفعول به

نحو قول التوحيدي: "**غَلِّب يا إلهنا رجاءنا**"[٩].

٢٠– اسم فعل أمر + نداء

نحو قول التوحيدي: "**فهلم أيها الإنسان**"[١٠].

٢١– نداء + أداة شرط + جملة فعل الشرط + ف + فعل أمر (جواب الشرط)

نحو قول التوحيدي: "**يا هذا إن كنت ثاكلا فَنُحْ على ما أصبت به**"[١١].

١– الإشارات الإلهية، تحقيق د/ وداد القاضي ، ص ١٠٨.

٢– المصدر السابق، ص ٣٠٢. في هذه العبارة تناص مع قوله تعالى لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم البقرة ٢٥٦

٣– المصدر السابق ص ٣٠٢.

٤– المصدر السابق ص ٣٠٢.

٥– المصدر السابق ، ص ٣٠٢.

٦– المصدر السابق، ص ٣٠٥.

٧– المصدر السابق، ص ٢٧٢.

٨– المصدر السابق، ص ٢٦٩.

٩– المصدر السابق، ص ٢٠٨.

١٠– المصدر السابق، ص ٢١١.

١١– المصدر السابق، ص ٣.

٢٢- أداة شرط + جملة فعل الشرط + ف + فعل أمر (جواب الشرط)

نحو قول التوحيدي: " **إن كنت طالبا فجد فعساك تصل بغيتك منه**"[١]، "**إن كنت مكروبا بالسر فَبُحْ فعساك تشفى غليلك فيه**"[٢].

٢٣- فعل أمر + مفعول به + جار ومجرور + أداة شرط + فعل الشرط

نحو قول التوحيدي: " **قربنا منك إذا بعدنا، صلنا بك إذا انقطعنا**"[٣].

٢٤- فعل أمر + مفعول به + أداة شرط + فعل الشرط

نحو قول التوحيدي: "**ذكرنا إذا نسينا**"[٤]، "**ألهمنا إذا سكتنا**"[٥]، "**احفظنا إذا قلنا**"[٦].

٢٥- اللام + مضارع + فاعل

نحو قول التوحيدي: " **فليحسد من شاء**"[٧].

٢٦- نداء + فعل أمر + مفعول به + جار ومجرور + مضافا إليه

نحو قول التوحيدي: " **اللهم أغننا بتنبيهك عن تنبيه خلقك**"[٨].

وفى بعض البنى التركيبية يحذف أبو حيان التوحيدي فعل الأمر من الجملة، وذلك لوجود قرينة تدل على المحذوف كأن يكون قد ذكر في بداية الجمل ثم عطف التوحيدي الجمل على الجملة المذكور فيها فعل الأمر نحو قوله: "**يا هذا عد بنا إلى متن التوحيد، وإلى عمق المعرفة، وإلى عقبان الوجد، وإلى آخر مدى التوكل، وإلى العلل العارضة في هذه الأحوال، وإلى الواضحات الواردات بالأشكال وإلى المشكلات الصادرة بالداء العضال**"[٩].

لقد تنوعت الصور التركيبية للأمر في "**الإشارات الإلهية**"، وتميزت بالوفرة حيث

١- الإشارات الإلهية، تحقيق د/ وداد القاضي ، ص٣.

٢- المصدر السابق، ص٣.

٣- المصدر السابق، ص٢٠٩.

٤- المصدر السابق ، ص ٣١.

٥- المصدر السابق، ص ١٠٩.

٦- المصدر السابق، ص ١٠٩.

٧- المصدر السابق، ص ١٠٧.

٨- المصدر السابق، ص ٢١١.

٩- المصدر السابق، ص ١٠٧.

بلغ عدد جمل الأمر في الرسائل السبعة.

عينة الإحصاء (٢٣٣) جملة، وهو عدد كبير، وقد ارتبطت البنية التركيبية للأمر ببني أخرى كالنداء والشرط.

وأعتقد أن سبب وفرة جمل الأمر، وتنوع البنى التركيبية لها هو السياق العام الذي يحكم رسائل "الإشارات الإلهية" وموقف التوحيدي في قلب هذه الرسائل فأبو حيان التوحيدي " يقف في نقطة متوسطة: مادا يده الواحدة إلى شخص مثله أو أدنى منه لينتشله مما ألم به من حيرة"[١]، وقد تطلب هذا منه توجيه الأمر بتراكيب متنوعة، ودلالات متعددة لاستمالة السامع، ومن ثم إقناعه، وهو من ناحية أخرى يمد اليد الأخرى " إلى شيخ أو قطب يلتمس بركته، ويتخذه وسيلة لرضى الله"[٢].

وقد كان الاتجاه الأسمى للتوحيدي هو اتجاهه إلى الله سبحانه وتعالى. فهو عندما يوجه الأمر إلى المولى عز وجل فهو يتوجه بالأمر وغرضه الدعاء والدعاء هدف، وغاية عظيمة عند التوحيدي، وغيره من الصوفية لإظهار تمام الخضوع، والخشوع لله سبحانه وتعالى.

وقد ارتبطت بنية الأمر ببعض البنى التركيبية الأخرى مثل جملة النداء، فالنداء ينبه الذهن لأمر مهم سيأتي بعده فإذا تبعه فعل الأمر وجد الذهن مستعدا لاستقبال الأمر الموجه إليه، فالنداء من مقويات فعل الأمر كما ذكرت وقد عمد التوحيدي لربط بنية الأمر بالنداء لرغبته الأكيدة في تنفيذ الأوامر وتحقيقها.

كما ارتبطت بنية الأمر بأسلوب الشرط[٣] حيث احتل الأمر فيه ركن الجواب ولعل ذلك راجع إلى طبيعة الشرط القائمة على التعليق في الوجود أو العدم، فيكون الأمر بالقرب عند البعاد، والأمر بالصلة عند الانقطاع، والأمر بالبوح عند الكرب والأمر بالجود عند الطلب. فالشرط بناء عقلي منطقي يرتب الأحداث ويعلق بعضها ببعض ويدل على وعي المتكلم بأبعاد الحديث، ويقدم سبب تنفيذ الأمر.

١- الإشارات الإلهية، تحقيق د/ وداد القاضي ، ص ١٢.

٢- المصدر السابق ، ص ١٢.

٣- الجملة الشرطية المراد بها: الجملة المركبة تركيبا شرطيا أي المكونة من أداة الشرط ومن جملتي الشرط والجواب كتاب الجملة الشرطية الواقعة في خواتيم الآيات القرآنية، د/ رفعت إسماعيل السوداني، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، ١٩٩٥، ص ١٠.

دلالات الأمر

إذا كانت الدلالة الأصلية للأمر هي طلب الشيء على سبيل الإلزام والاستعلاء فإن الأمر قد يخرج إلى دلالات جديدة ومتنوعة إذا تعذر حمله على معناه الأصلي، ونستعين بالسياق والقرائن في تحديد تلك الدلالات المتولدة.

والسؤال الذي يطرحه البحث الآن هو ما الدلالات التي تولدت عن الأمر في "الإشارات الإلهية"؟

– كثيرا ما يتوجه أبو حيان التوحيدي في "الإشارات الإلهية" بالأمر إلى المولى عز وجل، فيخرج الأمر من دلالاته الحقيقية إلى دلالة أخرى هي التضرع والدعاء، وقد اتضحت دلالة الأمر على التضرع والدعاء من خلال السياق الذي يدور فيه الكلام نحو قول التوحيدي: "**اللهم أغننا بتنبيهك عن تنبيه خلقك وغيبنا في مشهَد رضوانك عن عبادك، وأشْهدنا في غيب ملكوتك كل ما غاب عنا باحتجابنا عنك، واغضض أبصارنا إلا عن النظر إلى وجهك واذمم خواطرنا إلا من السُّبُوحِ في مراد إلهيتك**"[1].

يقف أبو حيان التوحيدي متضرعا إلى الله داعيا طالبا منه العون والتنبيه، والإرشاد والإشهاد، مستخدما أسلوب الأمر الذي خرج عن دلالاته ليدل على الانكسار والتذلل والخضوع لله عز وجل.

٢– وقد خرج فعل الأمر عن معناه الأصلي ليدل على الحث والإرشاد

نحو قول التوحيدي: "**فاشدد الآن وسطك، واطلب قسطك وشمر ذيلك وقطع ليلك**"[2] ورد الأمر في سياق حث الإنسان على العمل، والعبادة، والاجتهاد، وفي طلبها وكثيرا ما يخرج فعل الأمر عن دلالاته الأصلية ليدل على الحث.إذا توجه به التوحيدي إلى الإنسان الذي يقف موقف المتعلم بين يديه فيحثه على العمل، والاجتهاد والعبادة، كما يرشده إلى الطريق الصحيح نحو قول التوحيدي: "**يا هذا اعتصم بالعروة الوثقى لا انفصام لها**"[3]. حيث خرج الأمر عن دلالته الأصلية ليدل

١– الإشارات الإلهية، تحقيق د/وداد القاضي، ص٢١١.

٢– المصدر السابق، ص٣٦٢.

٣– المصدر السابق، ص ٣٠٢.

على رغبة التوحيدي في الإرشاد إلى هذا الفعل فعل الاعتصام، والتمسك بقيم الدين ومن ذلك أيضا قوله: "**غَمِّض عينيك عن هذه الزهرة التي في الحياة الدنيا**"[1]. وذلك في سياق الإرشاد إلى الإعراض عن الدنيا وزخرفها.

٣- كما خرج الأمر عن معناه الأصلى ليدل على التهكم والاستهزاء

نحو قول التوحيدي: "**يا جامع المال: قارب وانظر**"[2] ورد الأمر بعد النداء في سياق من التهكم والسخرية من الإنسان الذي انهمك في جمع المال ودعاه للنظر والتأمل.

٤- كما ورد الأمر في "الإشارات الإلهية" وغرضه التبكيت والإهانة

نحو قول التوحيدي: "**يا ساعيا في الشر والفساد اجعل لنفسك غاية تقف عندها**"[3] فقد دل الأمر على التبكيت والإهانة في وجود قرينة لفظية هي مناداة السامع ووصفه بأنه يسعى في الشر والفساد كما أن العبارة وردت في سياق إهانة العاصى وتبكيته.

٥- كذلك ورد الأمر في "الإشارات الإلهية" وغرضه الاعتبار والاتعاظ

نحو قول التوحيدي: "**يا هذا عد بنا إلى ذكر قوم قطعوا أيام حياتهم بالصبر**"[4]، ونحو قوله: "**فتعال حتى نلبس شعارهم**"[5].

خرج الأمر عن دلالته الأصلية ليدل على الاتعاظ والاعتبار حيث ورد الأمر لأخذ العبرة والموعظة من السابقين.

٦- كما ورد الأمر في "الإشارات الإلهية" وغرضه التبشير

١- الإشارات الإلهية، تحقيق د/وداد القاضى، ص ٣٠٢. فيه تناص مع قوله تعالى: "وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا" طـــه: من الآية١٣١.

٢- المصدر السابق ، ص ٢٧٢.

٣- المصدر السابق، ص ٢٧٢.

٤-المصدر السابق، ص ٢٧٢ .

٥- المصدر السابق، ص ٢٧٢.

ومن أمثلة الأمر الذي جاء في سياق التبشير قول التوحيدي: "**فاعلم أنك مراد بالإجابة**"[١]، "**فاعلم أنك معرض للشكر**"[٢]، "**فاعلم أنك محثوث على العمل**"[٣]، "**فاعلم أنك مخصوص باليقظة**"[٤].

٧- كما ورد الأمر في "الإشارات الإلهية" وغرضه الإنذار والتحذير

نحو قول التوحيدي: " **احذر نفسك وحذرها منك**"[٥].

وقوله: "**فاحذر كل الحذر أن تزل قدمك بعد ثبوتها** "[٦]. حيث خرج الأمر عن دلالته الأصلية ليدل على التحذير والإنذار، وذلك بواسطة قرينة لفظية هي "احذر" و"حذرها" كما ورد الأمر في سياق يدل على الإنذار والتحذير نحو قول التوحيدي: "**أعلم أنك غير قابل واقع الموعظة**"[٧]، وقوله: "**أعلم أنك مخلى من الهداية**"[٨].

٨- كذلك ورد الأمر في "الإشارات الإلهية" وغرضه الالتماس

نحو قول التوحيدي:" **يا هذا قابل تشوقى لك بالشوق منك**"[٩]، "**وواصل ادِّكَارى لك بالتذكر**"[١٠]، "**واقبل نصيحتى بالشكر**"[١١]، "**وصل قبولك منى ما تسمعه بالزيادة في الركوع والسجود**"[١٢].

١- الإشارات الإلهية، تحقيق د/ وداد القاضي ، ص٢.

٢- المصدر السابق، ص ٢.

٣- المصدر السابق، ص ٢.

٤-المصر السابق، ص ٢.

٥- المصدر السابق، ص ١٠٨.

٦- المصدر السابق ، ص ٣٠٣.

٧- المصدر السابق، ص ٢.

٨- المصدر السابق، ص ٢.

٩- المصدر السابق، ص ٢٦٩.

١٠- المصدر السابق، ص ٢٦٩.

١١- المصدر السابق، ص ٢٦٩.

١٢- المصدر السابق، ص ٢٦٩.

وذلك عندما يتوجه التوحيدي بخطابه لمثيل له في سياق التلطف وإظهار العاطفة تجاه السامع وفى وجود قرائن لفظية كالشوق والتذكر والنصح.

٩- كذلك خرج الأمر عن معناه الأصلي ليدل على التسلية

نحو قول التوحيدي: "**فَنُح فلعلك تشفى غَليلك**"[١]، "**فَجُد فعساك تصل إلى بُغيتك**"[٢].

حيث جاء الأمر في سياق من التلطف والتسرية والتسلية للسامع كما أن القرائن اللفظية مثل لفظ النوح الذي يدل على التخفيف عن الإنسان، وألفاظ عسى ولعل التي تدل على الرجاء تعاونت مع السياق لتوضيح الدلالة الجديدة للأمر.

١- الإشارات الإلهية، تحقيق د/ وداد القاضي، ص ٣.

٢- المصدر السابق، ص ٣٠.